الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد البشير الإبراهيمي – برج بوعريريج
كلّية الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربي

دروس في مقياس الأدب المقارن

مستوى: السّنة الثّـالثة

تخصّص: الدّراسات الأدبية

إعداد الدّكتورة: سماح بن خروف

الرتبة: أستاذ محاضر أ

السّنة الجامعية: 2024/2023

- **محتوى مقياس الأدب المقارن:**

1- مدخل إلى الأدب المقارن

2- المفهوم والنشأة والتطوّر

3- مدارس الأدب المقارن

4- المدرسة الفرنسية

5- المدرستان الإنجليزية والأمريكية

6- الأدب المقارن والبعد الثقافي

7- التأثير والتأثر في الأدب المقارن

8- الأدب الإسلامي المقارن

9- أدوات البحث في الأدب المقارن ومجالاته

10- تأثير الآداب العربية في الآداب الغربية

11- روافد الأدب المقارن

12- الأجناس الأدبية والأدب المقارن

13- جهود المقارنين العرب

14- الأدب المقارن في الجزائر(تجربة أبو العيد دودو)

● الدّرس الأول/ مدخل إلى الأدب المقارن:

أدت فكرة الانفتاح على الآداب الأخرى وكذا الاحتكاك الثقافي إلى توليد نوع من التأثير المتبادل واستضافة الآليات الكتابية وطرائق التعبير الأدبي، واختلاف الأنواع التعبيرية الأدبية وتطوير مادتها وموضوعاتها، وهذا ما أدى إلى ظهور علوم ودراسات تبحث في أمداء الاحتكاك بين الثقافات والآداب القومية متمعنة فيما تتقاطع فيه وفيم تتشابه، كالموازنات سابقا والأدب المقارن فيم بعد كعلم قائم على الدراسات التي تعقد مقارنة نزيهة بين أدبين قومين لاستكشاف أوجه التقاطع والاختلاف بينها، وبفضله تم إلغاء العزلة على مستوى الإبداع، وكذا تلقي الأفكار وتعليم اللغات وتعميم بعضها فأتيحت وغدت في متناول الجميع.

كما وتعددت مكاتب الترجمة، فاتسع أفق المناهج والأنواع الأدبية والفنون وحتى مفهوم الاعتناء بالقضايا الإنسانية الكبرى التي تهم البشرية والشعوب.

ولا يعد الأدب المقارن حبيس أي حيز أو بلد أو إقليم بل تجاوزها لإشباع المتطلبات العلمية الفردية منها والجماعية وكذا نشر الموروث الإنساني بين الأمم والشعوب فتتعارف وتتواشج علومها ومعارفها.

الأدب المقارن ذو مجال واسع استوعب بدوره الكثير من العلوم والفنون وكذا المعارف المتعلقة بوعي الإنسان، والأهداف المرجوة، جعل فتح الباب على مصراعيه لنشوب بعض الخلافات (التي تنازعتها بعض الأطراف لدحض أو نبذ أي توجه ذاتي قد تتدخل فيه البواعث القومية) أمرا يسيرا فتداخل بذلك هذا النمط الأدبي بغيره من النظريات النقدية

والأدبية وكذا الآداب التي عالجت وإياه نفس القضايا وبالمنهجية والأساليب التقنية نفسها وظهر الأدب المقارن نتيجة الإيمان بفكرة نسبية الأشياء.

وهي فكرة تعتقد بأن العالم الذي نعيش فيه لا يمكن فهم الظواهر التي توجد فيه فهما سليما إلا إذا وضعت في إطار النسبية ومن الواجب هنا أن نؤكد بأن الأدب المقارن ليس هو الموازنات الأدبية فقط كما تراه المدرسة التاريخية أو الفرنسية لكن الموازنة وسيلة فقط لمعاجلة الظواهر الأدبية ما دامت تخرج من محيط الأدب الواحد. وتكمن أهمية الأدب المقارن في كونه يساعد على "**معرفة عادات الشعور وتقاليدها وطرائق تفكيرها، وآمالها الوطنية والقومية، فيسهل بذلك تبادل المنفعة بالأخذ والعطاء والتأثير والتأثر**"[1].

يروم الأدب المقارن استكشاف خصوصيات الآداب ومكامنها المميزة لها فكريا وفنيا بعد المقارنة بينها والغور فيم تتقاطع فيه من موضوعات وآليات كتابية، وفيم تختلف فيه أيضا، وبالتالي تتجسّر فكرة التقاطع والاحتكاك بين هذه الآداب القومية، ويتنامى التأثير والتأثر أكثر فأكثر.

وجذور استظهار هذا التقاطع يعود إلى القديم الذي سجل محاكاة بين الأدباء والثقافات والقوميات وقد شهد بعضها موازنات في الأدب الواحد، فكانت داخلية وذات مجال ضيق ولكنها بمثابة محطة تمهيدية مؤثثة لإجراءات الدرس المقارني وآلياته المنهجية المعتمدة.

وقد تراوحت الجهود بين ما هو غربي وما هو عربي قبل نضج شروط المقارنة الحديثة بين الآداب القومية على يد المدرسة الفرنسية، فقد تأثر الأدباء العرب ببعضهم البعض،

[1] طلعت صبح السيد، الأدب المقارن، القاهرة ، مصر، ط1 ، 2005، ص5.

والغربيون ببعضهم وبالعرب، ونسجوا على منوال شائعا كان أو مغمورا، إما تقليدا أو تحت مسمى الانفتاح الثقافي أو الحضاري.

وتعددت فوائد الأدب المقارن، فبغض النظر عن فائدته في حد ذاته لكونه أدباً خاصاً بالمقارنة بين الآداب لا للمفاضلة أو تمييز أدب عن آخر، أو الانتقاص من قيمة أحد أو ثقافة أمة ما، وإنما هو فرصة للاطلاع **"على أوجه القصور فيحاولون تخطيها والتغلب عليها، ويدركون أوجه التوفيق والازدهار فينمونها"**[1].

فالفائدة الجوهرية والأساسية من الدراسات المقارنة هي الارتقاء بالآداب، وإثبات وجودها وجودتها، ومن ثمة منحها فرصة الرواج والوصول إلى العالمية، بالإضافة إلى إكساب الشعوب ثقافات إضافية وأفكار مغايرة، فيغدو الأدب المقارن بذلك **"نافذة تتطلع من خلالها على عادات وتقاليد الأمم مما يؤدي إلى توطيد العلاقات وتعميق الصلات الودية مما يعود نفعه على الجنس البشري كله"**[2] فيتحقق التقارب وتكمل الآداب بعضها البعض، وحين يحدث فعل الاكتشاف تتناقص العصبية والتعصب لأي عرق أو دين، ويفهم الإنسان حاضره بماضيه، وبماضي بعض الأمم والحضارات كتقديس الرومان واليونان للدين، وأخذ الحكمة عن الهنود، وتتداخل هذه الأطر والسباقات داخل أدب قومي واحد لتوسيع الدائرة، وإتاحة المجال أكثر أمام فعليّ الأخذ والعطاء، هي خدمات كبيرة يضعها الأدب المقارن أمام القارئ والناقد، وصولاً إلى الأدب العالمي، إذ يُجسّر له جسر الوصول إلى

[1] بديع محمد جمعة، دراسات في الأدب المقارن، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1980، ص32.
[2] المرجع نفسه، ص33.

مصاف العالمية، دون أي سياسة عنصرية وإنما تتعامل مع النصوص الأدبية ولا تضع نصب عينيها انتماء الأدباء أو أيديولوجيتهم.

• الدّرس الثّاني: المفهوم والنشأة والتطوّر:

إن الملاحظ للمؤلفات المنصبّة في مجال الأدب المقارن سيلحظ بأنها كلها معنونة بـ: "الأدب المقارن" وكأنه بلا فروع أو مجالات، أو بلا شق نظري وآخر تطبيقي، لكن الإشكال يكمن في أن ضبط مفهومه بات أمراً عسيراً خاصة في بداياته، فهو ليس بالقاصر على مجال ضيق ما ولا بالشامل لشتى الآداب بتاريخها.

وردت كلمة مقارن"**comparative**"في اللغة الانجليزية الوسيطة وهي مستعارة من الكلمة اللاتينية"**comparativus**" ووردت في عنوان مقال كتبه"**فرانس ميرز**" وهو"بحث مقارن في شعرائنا الانجليز والشعراء اليونانيين واللاتنيين والايطاليين" ووردت كصفة في القرنين السابع عشر والثّامن عشر.

وقد شهد القرن 18 مجهودات فولتير **"التي ساعدت على تمهيد الطريق أمام الدراسات المقارنة، كانت معرفة فولتير العميقة بالانجليزية قد ساعدته أولاً على اكتشاف هذه العبقرية التي كانت مجهولة"**[1]. ولعل هذا الإتقان من طرفه للغة سيكون أهم أداة لاستكشاف المخلفات الأدبية والثقافية للآخر وسييسر مسألة الأخذ ونقل نتاجاته الأدبية إلى بلده مثلما فعل فولتير مع أعمال ومسرحيات وليام شكسبير .

ويعد القرن 19 هو قرن ميلاد الأدب المقارن، وتبلورت فيه أغلب أطره النظرية وإجراءاته التطبيقية، وذلك راجع إلى التحولات الثقافية، والتقلبات السياسية والاجتماعية التي مست أوروبا وفرنسا على وجه التحديد بسبب الثورة الفرنسية، وتتزعزع المذاهب الأدبية وتتطور

[1] بديع محمد جمعة، دراسات في الأدب المقارن، ص20.

الأجناس الأدبية أيضاً، لا تنصلاً من التراث الإغريقي أو الروماني القديم، وإنما سعياً لفهم فكر جديد وتقبل رؤية الذات بعين الآخرين، ونبذ فكرة الانكفاء القاصر.

ومن بين الجهود التي أثثت للأدب المقارن ما بذلته وقدمته مدام دو ستايل Mme de staell حيث ركزت على جسّرت بين الثقافتين الفرنسية والألمانية ممراً ثقافياً مهماً، أكد على ضرورة تلاقح الآداب وثقافتها، وأن الابتعاد والتجديد مبعثه التأثير والتأثر على الرغم من اختلاف البيئة المجتمع، وطريقة التفكير واللغة وحتى المناخ، وهذا ما أكده كتاب دوستايل "عن ألمانيا" الذي يذهب إلى التأكيد على أن "**الأمم ينبغي أن تستهدي كل واحدة بالأخرى، ومن الخطأ الفاحش أن تبتعد أمة عن مصدر ضوء يمكن أن تستعيره**"[1].

كما سعى هيبوليت المؤرخ المعروف إلى إقامة تاريخ للآداب وكذا الاهتمام بالنماذج البشرية، والسلالات والأجناس، لأنها من أبرز مفِرزات الأدب عامة، ودعوته هاته كانت من باب التجديد في مناهج دراسة تاريخ الأدب "**وكذا توسيع مجال دراسة هذا التاريخ وتخطيه لحدود الآداب الإقليمية للبحث عن الظروف الخاصة بكل جنس في الآداب العالمية، وذلك يتطلب بالضرورة تتبع حركة انتقال هذه الأجناس بين الآداب المختلفة**"[2] وهذا ما يرومه الأدب المقارن ويسعى إليه .

وقد ظهر الأدب المقارن في "**فرنسا 1828 على يد جون جاك أمبير الذي أعطى محاضراته في جامعتي مرسيليا وباريس في هذه الفترة وجعل عنوانها الأدب المقارن**

[1] أحمد درويش، الأدب المقارن (دراسة نظرية وتطبيقية)، ص22.

[2] المرجع نفسه، ص24.

La littérature comparée، **في نفس الفترة كتب فيلمان أول كتاب منهجي في الأدب المقارن عن "أدب القرن الثامن عشر "**[1] ولكن اصطلاح الأدب المقارن لم يرد لأول مرة إلا في رسالة كتبها"**ماثيو أرنولد**"عام 1848م، أما الاستعمال الحاسم للمصطلح فقد كان مع"**هجسين مكولي**" المحامي الإيرلندي في مقال بعنوان "علم الأدب المقارن" عام 1886م. ولما عرف"**فولتير**"الأدب في مقالته قائلا بأنه معرفةٌ للأعمال ذات الذوق الرفيع مع شيء من العلم بالتاريخ أو الشعر و الفصاحة والنقد" أمكن ذلك من ظهور تعبير الأدب المقارن فشاع على يد "**فيلمان**" في فرنسا بكتاب عنوانه "**هواة الأدب المقارن**" وقد كان يفخر بأن محاضراته كانت أول محاولة تتم في جامعة فرنسية لإجراء تحليل مقارن.

وقد ترجمت كلمة مقارن في ألمانيا ب:**verglriched**"في السباقات العلمية فكتب غوته عام 1795م مقالا بعنوان"مخطط أولي لمقدمة عامة للتشريح المقارن" كما أشرنا إليه آنفا، وقد شغل الناقد الكبير"**فرانشيسكو دي سانكس**"كرسي الأدب المقارن في نابولي من عام 1872م حتى وفاته عام 1883م.

تعددت مفاهيم هذا الأدب بتعدد المنطلقات وتباين التوجهات وأثار بذلك خلافا كبيرا حول مجاله وطرق البحث فيه؛ لأن دراسته تتعدى حدود القطر الواحد فتبحث عن العلاقات القائمة بين الأدب من ناحية وبين مجالي المعرفة والمعتقدات الأخرى كالفنون والتاريخ والفلسفة والعلوم الاجتماعية من ناحية أخرى وهناك من عرفه بأنه "النظرية العامة للتطور الأدبي" أي بمعنى التقصي للأدب من النشوء إلى الاكتمال مرورا

[1] أحمد درويش، الأدب المقارن (دراسة نظرية وتطبيقية)، ص ص 24-25.

بالتعثر والانحطاط وقد " **نوع الأدب المقارن أساليبه تبعا للمجالات التي يتناولها وقد صاغت ملامحه تلك التقاليد الثقافية القومية والمتطلبات المحلية والحضارات المتباينة**"[1] وقد كان **فان تيغم** أول " **من قدم تعريفا للأدب المقارن يقول إنه العلم الذي يدرس على نحو خاص آثار الآداب المختلفة في علاقاتها المتبادلة**"[2] والأدب المقارن هو علم فرعي ينضوي تحت جناح التاريخ الأدبي وأنه دراسة للعلائق الروحية الدولية والصلات الواقعية التي توجد بين المنتجات والإلهامات حسب الباحث كاريه.

وما الغاية من الأدب المقارن إلا دراسة الآداب المختلفة في علاقاتها مع بعضها البعض فلا يقتصر الأدب المقارن على عرض الحقائق فقط بل يشرحها شرحا تاريخيا مدعما بالبراهين والنصوص وتدخل فيه مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة وصلاتها الكثيرة المعقدة في حاضرها أو في ماضيها وما لهذه الصلات من تأثير أو تأثر.

ويرى محمد غنيمي هلال بأن الأدب المقارن هو "**دراسة للأدب القومي في علاقاته التاريخية بغيره من الآداب الخارجة عن نطاق اللغة القومية التي كتب بها**"[3] وهذا الخروج يستلزم بدوره الدراية بالمعطيات الثقافية المغايرة، كما يدفع إلى التعرف على نزعات قومية تستزيد منها الشعوب المطّلعة، وتنتفع بما تقدمه، بخاصة وأن اهتمامات الدرس المقارني قد اتسعت إلى القصص الشعبية والملاحم والبحث في

---

[1] كلود بشوا، أندريه م روسو، الأدب المقارن، تر: أحمد عبد العزيز، مكتبة الأنجلو مصرية، ط3، القاهرة، مصر، نوفمبر 2001، ص74.

[2] الطاهر أحمد مكي، الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، دار المعارف، ط1 ، مصر، ماي 1986، ص194.

[3] ينظر :كتاب محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار نهضة مصر القاهرة، مصر، ص65.

العلائق الروحية مما يتطلب جملة من الخبرات والوسائط الثقافية والرحلات التي وطنت انتقال العادات والأعراف والتقاليد وطرائق التفكير والذهنيات المتنوعة.

و يسعى الأدب المقارن–حسب المدرسة الفرنسية– إلى رسم سير الآداب في علاقاتها بعضها ببعض ويساعد على إذكاء الحيوية بينها ويهدي إلى تقارب الشعوب في تراثها الفكري.

ومن النقاد والمقارنين من أراد أن يحصر المقارنة في أدبين قوميين لا غير، وهناك من تجاوز فكرة الأدبين إلى أداب قومية فأكثر حتى يخرج عن نطاق الأدب إلى مجالات إبداعية أعمق مثل الفنون كالموسيقى والنحت ومنهم من ربط الدراسات المقارنة بالمعرفة الإنسانية كالفلسفة وعلم النفس و علم الاجتماع. إلا أن الأدب المقارن قد اشتمل على كل هذه الشروط والفنون وكذا الأنواع فكان جديرا بالعلمية والفنية بتجسيده للمنهج والإجراء والبحث عن مواطن الإبداع.

الأدب المقارن هو "**الفنّ المنهجي الذي يبحث في علاقات التشابه والتقارب والتأثير، وتقريب الأدب من مجالات التعبير والمعرفة الأخرى، أو أيضاً الوقائع والنصوص الأدبية فيما بينها المتباعدة في الزمان والمكان، أو المتقاربة، شرط أن تعود إلى لغات أو ثقافات مختلفة**"[1] وباستقصائه لظواهر التأثير والتأثر برع هذا النمط الأدبي بطبيعته التاريخية وميزته التتبعية للمسار التطوري للآداب واستطاع أن يكمل كتابة تواريخ العديد من الآداب القومية هذه الأخيرة هي نقطة ارتكازه بكل ما

[1] هنري باجو– دانييل ، الأدب العام المقارن ، ترجمة: غسان السيد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1997، ص 18.

يتلقاه وما يعطيه من مؤثرات لأنه وبعد أن صارت الآداب متداخلة ومتشابكة إلى حد كبير نظرا لتشابه الظروف والملابسات المتباينة غدا الانكفاء الذاتي للأدب ضربا من الوهم فأصبحت الحاجة قوية جدا إلى هذا الصنف من الآداب حتى يتم تحديث وتطوير العديد من الآداب عن طريق جسر المقارنة والمد الثقافي والكشف والترقيع والاعتراف بالفضل في بعض الأحايين لم لا؟

وقد تجري موازنات داخل أدب قومي واحد كالموازنات المعروفة في النقد العربي بين: جرير/الفرزدق، المتنبي/أبو العلاء المعري، حافظ/شوقي ويختص بهذا النمط من الموازنات مؤرخو الأدب القومي ونقاده وهذا ما يعرف بالأدب الموازن.

أما المقارن فهو الذي يقارن بين كتاب ينتمون إلى قوميات مختلفة لوجود تشابه أو تقارب بينهم كرسالة الغفران للمعري والفردوس المفقود لميلتون، أو بين أبي العلاء وكافكا (للإشارة فقط فقد قارن طه حسين بينهما) والأدب المقارن مطالب بتقديم تفسيرات مقنعة لما يحدث من تطابق أو تمايز و موازناته ذات قيمة معرفية في الغالب.

- **علاقة الأدب المقارن بالجامعة وبالطالب الجامعي:**

إن حضور الدرس المقارن في الساحة الجامعة قد بات أمراً ضرورياً، وليس شرطاً أن ينطلق من أساس ثابت منطلقه النّص الأصلي باللغة الأصلية، إذ يمكنه أن يقارب نصين وبلغتين مختلفتين، بخاصة إذا خصصنا بكلامنا طالب الدراسات العليا بالجامعة، أي مرحلة ما بعد التخرج.

وحتى يصبح الطالب المتخصص في الأدب المقارن متمكناً، فهناك عدة شروط، "**وإن الشرط الأول للنجاح في المجال المقارن هو أيضاً من أصعب الشروط التي يمكن تحقيقها، ويجب أن تبنى المقارنة بشكل ثابت على واحدة من الغايتين، إنها تتطلب معرفة واسعة بأدبين ومجتمعين، ومعرفة بتقاليدهما وأرائهما المختلفة**"[1].

بالإضافة إلى كل هذا، فإن الطالب يحتاج إلى أن يتسلح بمعارف ولغات، ويكون لديه اطلاع واسع بتاريخ الأمم والحضارات، حتى يتفاعل أكثر مع النصوص ويغور في مكامنها أثناء تطبيق مناهج المقارنات، ولا يجد صعوبة في استجلاء الفروق وأوجه الشبه، والعلاقات بين المنجزات والكتاب، والتشاركات الثقافية، وبما أن طالب ما بعد التدرج بخاصة يندرج ضمن النخبة المثقفة، فإنه سيصل إلى نتائج علمية دقيقة، قائمة على العرض والتحليل، في إطار حدود لغوية وجغرافية، وأخرى معرفية.

ولن يتمكن الطالب من تفعيل هذه المقاربة إلا باعتماد وسائل، وعدة مقارنتية تقتضيها الوسائل والأهداف، مثل الانتقال والسفر، وقراءة تاريخ الآداب، ونظريات الأدب، واعتماد الوسائط والنماذج البشرية، فيعتمدها ليحقق نتائج تحوي أفقاً لا بأس به من التأمل البعيد، فلا يبقى هذا البحث المقارني سطحياً أو مقيداً، بل يُسهم في تصنيف الأعمال الأدبية القومية، وإيصال ما يستحق منها إلى العالمية.

وما يصعّب الدراسات المقارنة على الطلبة هو ربما بعض النزاعات الثقافية، بين الأمم والحضارات والقوميات، وحين يقوم بالعملية التطبيقية فإنه مطالب بإرضاء جماهير عديدة حاله حال المقارنين المتخصصين والمعروفين. والباحث الجامعي المتخصص في الدّرس

[1] هنري باجو- دانييل ، الأدب العام المقارن ، ص84.

المقارني سيجد أمامه بعض المعوقات أو المشاكل النظرية خاصة إذا تعلق الأمر بالمتشابهات أكثر مما اختلف من الأعمال الأدبية.

• الدّرس الثّالث/ مدارس الأدب المقارن:

من المؤكد بأن مسألة الاختلاف في ضبط مفهوم واضح ودقيق للأدب المقارن إنما هو عائد لاختلاف الرؤى والتوجهات والأعلام وبيئاتهم وفلسفاتهم، وثقافاتهم، ونظرتهم للفرد البشري وللتاريخ ولكل المشكلات الوجودية المتعلقة بالأمم والشعوب، لذلك فإن الاستقرار على توصيف واحد وجامع لهذا الأدب ليس من السهل بزمان ولا بمكان، وعلى الرغم من اعتلائه منزلة رفيعة في حقل الدراسات والآداب وحتى الجامعات إلى أن التفرع قد مسه من حيث تعدد المدارس بحسب الروافد والمنطلقات وحتى الأوطار فقد وصل " **الأدب المقارن خلال الحقبة الأولى من تطوره العلمي إلى مكانة ممتازة، حيث كان له تعليم منظم في بعض الجامعات وكانت له مجلة وبيبلوجرافيا**"[1] ولكن هذا الارتقاء لم يمنع من ظهور جدل كبير حول اختلاف مدارس الأدب المقارن وتعددها بل والبون الحاصل بين مبادئها وأساليب عقد مقارنتها بين الآداب القومية، خاصة وأن هذا الأدب ينتمي" إلى الحياة بصفة عامة بتعقيداتها وغرائزها العمياء، ودوافعها الكريمة، وحركاتها المتواصلة ...ويحمل مصيره مرتبطا بعواطف الإنسان"[2]

ويعني لفظ المدرسة بصفة عامة ذلك التجمع الاعتباطي لمجموعة من المبدعين في مكان واحد. ومبدأ هذا الاتقاء والتجمع هو بالضرورة الاتفاق على فلسفة واحدة

[1] كلود بيشوا، أندريه م روسو، الأدب المقارن، ص46.

[2] المرجع نفسه، ص75.

وموحّدة لآرائهم، إذ يشترط أن يوجد بين هؤلاء المبدعين والكتّاب نوع من التناغم والانسجام الجمالي والفكري، وغالبا ما تبني المدرسة بيانا تأسيسيا تشرح فيه فلسفتها وعقيدتها والأطر التي تحدّدها.

هناك بعض الدول الأوروبية التي اهتمت بالأدب المقارن ولكن بشكل متواضع وسطحي، فمثلاً في ألمانيا وإيطاليا رغم الزخم الثقافي والحضاري، ووفرة الآليات والأدوات، إلا أن العصبية القومية كانت حائلاً منع من تطور الدرس المقارن، بل وأزاحته من الخريطة رغم اهتمامهم بالبحث في نقاط التلاقي بين آدابهم وباقي الآداب والحضارات خاصة بعد الحرب العالمية ."**فقط ظلت إيطاليا تحتل مكانة متواضعة في خريطة الدراسات المقارنة، فقد نادى الناقد كروتشيه إلى استقلال العبقرية لكل كاتب أو أديب، وهذا يعني عدم اهتمامه بناحية التأثير والتأثر**[1].

ومن بين المدارس الرائجة اعترضت المدرسة الأمريكية على شرط الصلة التاريخية الذي تشبثت به المدرسة الفرنسية، وكما نعلم حتى بعض المؤسسين الفرنسيين المقارنين قد وافقوا الاتجاه الأمريكي في طرحه ورفضه لفكرتي الوسائط والعلاقات التاريخية، حتى وإن كان جلياً للباحثين مدى تقاطع الأعمال الأدبية التي ينطبق عليها فعل المقارنة، وعلى رأس المناهضين "إيتامبل" حيث يرى بأن هذا الشرط يقصي معه مسألة التذوق، ويغيّب الإمتاع الذي تتطلبه الآداب، فهو يلفت النظر إلى "**أولئك الذين يبالغون في اتباع الهيكل الخارجي للمنهج قد يجدون أنفسهم بعيدين عن مجال الدراسة الحقيقية للأدب في الوقت الذي يعتقدون فيه أنهم وضعوا أيديهم على واسطة**

[1] طلعت صبح السيد، الأدب المقارن، ص14.

محدودة أو صلة مباشرة"[1] وكأن الاتصال المباشر بين الآداب التي ستتم عملية المقارنة بينها ضرورية لنقول بأنها ضمن مجال الدرس المقارني.

وقد تبنى الاتجاه الأمريكي المنهج النقدي "**فزعماء المنهج النقدي من أمثال رينيه ويليك يفرقون بين دراسة تاريخ الأدب دراسة مقارنة، وبين الدراسة المقارنة للآداب، ويرون أن الآداب في جوهرها هي نظم الشكل التي يضيفها الإنسان إلى لغته الطبيعية**"[2] .

ولا غرو في أن هذا التوجه النقدي قد وسع من المجال البحثي المقارني، ووسع من دائرة اهتمامه، حيث أن مسألة المقارنة بين أدبين قوميين فأكثر تتطلب التركيز على نقاط التلاقي ومواضع التأثر أو التأثير، بالإضافة إلى تسليط الضوء على الحكم بجودتها أو رداءتها، فيتم التركيز هنا على الناحيتين، لذلك جاء المفهوم الأمريكي للأدب المقارن منفتحاً، ومغايراً لنظيره الفرنسي، فأمريكا قارة لوحدها، لها ثقافتها، وأجناسها، ومعتقداتها، ومن الطبيعي أن تختلف مع مدارس الأدب المقارن، وحتى مؤسسو المدرسة الأمريكية معظمهم من أصول مختلفة، قد تنوع من المبادئ والتوجهات داخل المدرسة، وقد تعرقل الظهور المكتمل المستقل، بسبب اختلاف الأصول والآراء .

والاتجاه الأمريكي ركز على القيم والأخلاق حين نقارن بين الآداب القومية التي يكتبها أدباء من ملل وديانات وثقافات مختلفة، ولا فرق بين شرقي أو غربي أثناء عملية

---

[1] أحمد درويش، الأدب المقارن (دراسة نظرية وتطبيقية)، ص30.

[2] أحمد درويش، الأدب المقارن (دراسة نظرية وتطبيقية)، ص31.

المقارنة، ويتصدى الأدب المقارن عند الأمريكيين لمسألة التفريق بين الأمم والشعوب على أساس التاريخ والحضارة أو العامل الثقافي .

فهم لا يراعون أي حواجز أو شروط .

لما كان هناك تسليم **بأهمية الأدب المقارن** في كونه المقاربة التي تستطلع ثقافة الآخرين، وتعرف بموروثهم الإنساني، بل والتشجيع فيما بعد على الإبداع والتأليف، الذي سيتسامى فكرياً وعلمياً وسينضج ابستمولوجياً وأيديولوجياً، وتتوسع بذلك الأطر الثقافية بحيث لا يفقد أي أدب قومي خصوصيته أو مكانته، فهذا الأدب القائم على المقارنة بين الآداب نابذٌ للتعصب، ورافض للعنصرية أو الميل لاتجاه إقليمي معين، لذلك انتشر وتُقُبِّلَ من طرف الباحثين والنقاد، بل وانتشر بسرعة البرق، وقد لا تكاد تخلو أي جامعة (سواءً أكانت أمريكية أو أوروبية) من هذا الأدب كمجال بحث أو نشر .

• الدّرس الرّابع/ المدرسة الفرنسية:

عرف الطّالب في السّابق أي في مقياس مدخل إلى الأدب المقارن بأنّ الولادة الحقيقية للأدب المقارن كانت في فرنسا ليتسرب بعد ذلك إلى باقي الأقطار الأوروبية المجاورة منها والبعيدة، والدافع للنهوض بهذا النوع من الأدب يكمن في التباهي بمختلف القوميات المختلفة و تعظيمها ثم مقارنتها بغيرها بغية الرقي والازدهار، إلا أن سيرورة هذا النوع الأدبي الجديد قد واجهت العديد من الصعوبات والعراقيل خاصة عند بعض الدول التي تعاظمت بقوميتها ورفضت أي مجال قد يعيق المسار التطوري لمصالحها الوطنية كألمانيا مثلا حيث ظهر"**غوته**"باكتشافه لمصطلح بديل بشر به في أواخر حياته فآثره على الأدب المقارن أسماه بالأدب العالمي(1827م) .

وقد انطلق في تأسيسه له من أن الثورة الصّناعية وما رافقها من تطور في وسائل النقل والطباعة والنشر ستؤدي لا محالة إلى تخطي الحدود القومية الضيقة للغات والآداب. كما وظفه في معرض تعليقه على ترجمة مسرحيته "**تاسو**" إلى الفرنسية، فكان يفكر في أدب عالمي موحّد تختفي فيه كل الفروق بين أدب وآخر وله قصيدة عنونها بالأدب العالمي.

فهذه المعارضة جعلت ظهور وانتشار الأدب المقارن بموجب مقاييسه ونظرياته أمرا غير مرغوب به في الأوساط الألمانية وكذا الإسبانية بسبب وصول الفاشية، وكذا الايطالية مع "**كروتشيه**" فنبذ هؤلاء الأدب المقارن ورفضوا الاعتراف به إلا أن غوته تراجع بعد ذلك عن موقفه الحاد وكتب مقالا بعنوان"**مخطط أولي لمقدمة للتشريح المقارن**"سنة1795م فذكره كمصطلح لكن ناهضه كعلم قائم بذاته.

ورغم العراقيل إلا أن الأدب المقارن استطاع أن يتبوأ لنفسه مكانة لا بأس بها في العديد من المجالات البحثية والجامعات العالمية بفضل المدرسة الفرنسية، فعرف في العديد من الدّول الأوروبية وحتى في الولايات المتحدة الأمريكية هذه الأخيرة التي لم تكد تتعرف على هذا النوع الأدبي إلا في الثّلث الأخير من القرن 19م، وأول من دعا إلى ربط الآداب ببعضها البعض هو "**إيمرسون**" من خلال رحلاته إلى أوروبا وتعرفه على كل من"**كولدرج، وكارل وميتز**" في انجلترا، فتحررت بذلك أمريكا من تبعية الانجليزية واستقلت بالفكر الأمريكي.

تُذكر المدرسة الفرنسية في مقابل المدرسة الأمريكية في غالب الاحيان، غير أن السبق التاريخي في هذا المجال (الأدب المقارن) كان للفرنسيين لمل توفر لهم من عوامل ساعدت على انطلاقة جادة ومثمرة في ميدان الدراسات المقارنة.

- الفضاء الاستراتيجي لفرنسا ساعد هذه الأخيرة على أن تكون ملتقى تيارات متنوعة.
- التاريخ التوسعي لمستعمراتها أفرز بدوره الكثير من ردود الفعل من جهة ثانية، مما خدم

موقع الدراسة من زاويتين، هما الفضاء والتاريخ، على عكس الدراسات الألمانية التي

تميزت بروح نقدية، وفّرتها لها التراكمات الفلسفية. ويظهر أن فرنسا كانت مهيّأة أكثر من

غيرها لاستقبال هذا الدرس المقارن، في إطار علاقات الأسباب بالمسببات التاريخية، أي أن علاقات القوى بينها وبين باقي الآداب لعبت دورا أساسيا في بلورة شكل مدرسي، يستلزم مقوماته داخل مفهوم التميز والأمجاد التاريخية. ومن المقبول والمنطقي أن يقوم الأدب المقارن ولمدة طويلة بل عليه أن يقوم أساسا على دراسة علاقات الأسباب بالمسببات بين الآداب الوطنية، وهذا المفهوم ضيق، كان يخدمه الحذر العلمي والفاعلية البيداغوجية وملاءمة بعض الظروف الثقافية والسياسية لفرنسا.

ظهور أدباء مميزين أمثال: تين، برونتيير، وسانت بوف لم يكن دون أثر، إذ مهّدوا الطريق أمام تاريخ أدبي ضاقت به الحدود الوطنية الفرنسية، فتاق إلى توسيع دائرة معارفه داخل أوروبا.

كانت فرنسا السباقة إلى الاهتمام بالدراسات المقارنة بين الآداب القومية وكذا انتقال الموضوعات وتبادل الأفكار، ولأن مجالاته واسعة جداً، كان على الاتجاه الفرنسي أن يضبط مفهومه ويحدد مجالاته وطرائق البحث فيه بانتقاء منهج موضوعي يقوم على الدقة والموضوعية – على حد تعبيرها — في مقاربة الآداب القومية والتعامل معها مقارنتياً لأن الباحث المقارني سيتعامل مع الروابط الثقافية والقيم الإنسانية، ولأنها تس مسألة أصول الأجناس الأدبية والثقافات، وكذا المحاكاة التي قام عليها الإبداع الأدبي في معظم أحواله، كذلك أصرت المدرسة الفرنسية على الصلات التاريخية، واستجلاء عوامل التأثر والتأثير

التي أسهمت بدورها في الكشف عن مصادر التيارات الفكرية والجمالية لمختلف الأعمال الأدبية القومية .

وقد ركز الاتجاه الفرنسي في تأصيله للأدب المقارن على فكرة البحث عن مدى حضور الثقافة الفرنسية في المسرح الإسباني، والأدب العربي، كتأثير أدب موليير، ولافونتين، وجون جاك روسو، وغيرهم .وقد تميزت المدرسة الفرنسية بالاستناد إلى الاتجاه التاريخي "الذي ساد لوحده نحو قرن من الزمان."

ويظهر أن الأدب المقارن أو المقارنة الأدبية، كانا يثيران فضولا خاصا عند البعض، كممارسة دون جدوى، وتسلية تقوم على موازنة بين الأعمال والأعلام، في تقابلات مبهمة، فالأدب المقارن بهذا المفهوم، لا يستحق تكوين منهجية مستقلة، لأن ذلك من قبيل منح تجريدية لمقاربة تلقائية في النزوع الإنساني .

لذلك فإن المقارنات القائمة على مجرد التشابهات و نقاط الالتقاء التي قد تكون وليدة الصدفة.

• الدّرس الخامس/ المدرستان الأمريكية والانجليزية:

أولا/ المدرسة الأمريكية:

كان" **تشارلز تشارل فورد**" أول من أدخل الأدب المقارن إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1900م ثم سرعان ما بدأ يتفشى في الجامعات وفي كل معاهد الدراسات العليا. وسنتجاوز التنظير للمدرسة والحديث عن مبادئها ومنهجها وأعلامها إلى التركيز على المواجهة والمقارنة بينها وبين المدرسة الفرنسية تمّ التطرق إلى مفهوم المدرستين وعوامل قيامهما، وأبرز روادهما، بالإضافة إلى منهاج كلّ منهما حسب التوجّه والانتماء الثقافي والجغرافيّ وسيتم التركيز على عنصر المواجهة بين المدرستين حسب ما اصطلحه "**قيصر مصطفي**" في مؤلّفه في الأدب المقارن وهو دراسة أكاديمية متخصصة، ويمكن تلخيص هذه المواجهة والمقارنة فيم يلي:

انطلقت كلا المدرستين من استراتيجية بنّاءة هدّامة في الآن نفسه، تحاولان السعي لإثبات النفس والقوة والمكانة، رغم ما أصاب باقي الثقافات بخاصة العربية من شلل وانكسار بسبب الاحتلال العسكري وكذا الثقافي.

وقد كان الأدباء في أمريكا يسعون حثيثا للترويج لأمتهم الناشئة، والبحث عن وجود ثقافي موسّع وفي المقابل تجاوز الفرنسيون هذه المسألة وتخطّوها، فهم سعوا من خلال مدرستهم التي تفترض اختلاف اللغة والقوميات والصلة التاريخية، إلى تجاوز حدود المعقول فأرادت تكريس نفسها على الصعيد العالمي على حساب المستعمرات واتخاذ التقسيم العنصري إلى أدب موجب وآخر سالب وسيلة لذلك برغبة استعمارية ملحة.

ويمكن اختصار وجوه الاتفاق والاختلاف فيما يلي:

- **أوجه التّشابه** :

- استخدام الإجراءات نفسها في دراسة الأدب المحلي والآداب العالمية.
- يعتبران التّرجمة من أهم قضايا الأدب المقارن.
- الاستقرار على مصطلحات واحدة أثناء الدّرس المقارن.
- ترى كلا المدرستين بأن الآداب الغربية كلٌّ متكاملٌ.

- **أوجه الاختلاف**:

- تركّز المدرسة الفرنسية على الصلة التاريخية، في حين يرتكز المنهج الأمريكي على عامل الأخلاق واحترام الأديان، ودراسة أدبين متشابهين دون أن تكون بينهما أية علاقة فعلية.

- المنهج الفرنسي يقوم على المنهج التاريخي في حين يتسم المنهج الأمريكي بالنزعة النقدية.
- تركز المدرسة الفرنسية على ثنائية الأدب الموجب والأدب السالب الذي خصّته للمستعمرات، في حين تعتمد المدرسة الأمريكية على مصطلح التوازي القائم على التماثل في البيئة أو الأسلوب.

ولكن يبقى التفوّق من نصيب المدرسة الفرنسية التي اتكأت الفلسفة الوضعية والتجريبية منطلقا، والمنهج التاريخي سبيلا على لسان **غويار وتيغم وبيشوا**، للمقارنة بين الآداب القومية المتخلفة اللغة والهوية والانتماء، على عكس الأمريكية التي اتكأت احترام الأديان والأخلاق والإنسانية شعارا رغم الخلط الواضع بين العلمية والنقدية في عملية المقارنة، وإسقاط شرط اختلاف اللغة بحجة أن أمريكا وبريطانيا ثقافتان متباينتان رغم اللغة الواحدة.

ويعتمد كما سبق وأن ذكرنا الدرس المقارني في المدرسة الأمريكية على مبدأين " **أولهما المبدأ الأخلاقي موقف أمة منفتحة تماما على العالم كله الآن، تضفي على كل ثقافة أجنبية تعاطفا يبين ديمقراطيتها أما ثانيهما فهو المبدأ الثقافي فيتيح للأمريكيين أن يأخذوا المسافة الكافية لتأمل المشاهد العريضة منذ العصور القديمة حتى القرن العشرين**"[1].

نشأت هذه المدرسة كردة فعل على المدرسة الفرنسية حين عقد رينه ويلك التشيكي الأصل وزعيم هذه المدرسة محاضرة بعنوان "**أزمة الأدب المقارن**" سنة 1958 م في

[1] كلود بشوار، أندريه م روسو، الأدب المقارن، ص55.

المؤتمر الدولي للرابطة الدولية للأدب المقارن، الأهم في المحاضرة هجومه على المدرسة الفرنسية حيث يقول:" لا شك عندي أن محاولة حصر الأدب المقارن في دراسة التجارة الخارجية للآداب نوع من الجهد الضائع" ويقول أيضا: "ولكن هذه الرغبة الأصيلة في أن يعمل دارس الأدب المقارن كوسيط بين الشعوب وكمصلح للذات بينها في أساسه الذي يكمن خلف العديد من دراسات الأدب المقارن في فرنسا وايطاليا وغيرهما أدى إلى نظام غريب من مسك الدفاتر الثقافية وإلى الرغبة في تنمية مدّخرات أمة الباحث عن طريق إثبات أن أمة الكاتب قد هضمت أعمال أحد العظماء الغرباء وفهمته من أية أمة أخرى"[1].

المحاضرة ذات أهمية من جانبين:

1- بيان سلبيات دراسات التأثر والتأثير التي اعتمدها الفرنسيون.

2- التأسيس لمفهوم جديد للأدب المقارن.

ويفرض الحديث عن المدرسة الأمريكية استدعاء مقابلاتها بالمدارس (الفرنسية/ السلافية/ العربية(، رغم الأصوات التي تعترض على التسمية، التي تفترض نوعا من القطيعة بين هذه المدرسة وباقي المدارس التي تعمل في نفس حقل الدرس المقارن.

من ثمة نستعمل إطلاق المدرسة لا بمعناها الصارم والنسقي، بل بالمعنى الواسع، الذي يقصد نزوعا معينا، ونوعا من التمايز داخل نفس معالجة الدرس المقارن. لهذا لا يغير رفض أو قبول تسمية المدرسة الأمريكية من جوهر التشديد على الفضاء الجغرافي، الذي تتشكل

[1] ينظر : أحمد دياب، الأدب المقارن بين المدرسة الفرنسية والمدرسة الأمريكية، ص 12.

داخله معطيات الدرس الأدبي المقارن والذي تتكون له مبادئ وحدود، تمثل عناصر تميزه عن باقي ممارسات الفضاءات والقدرات الغيرية.

من هنا يلاحظ كلود بيشوا اعتماد المدرسة الأمريكية على مكوّنين أساسيين يعملان على خصائص المدرسة، حيث: اتكاء الأدب المقارن لما وراء الاطلنطي على مبدأين: المبدأ الأخلاقي ويعكس موقف أمة كبيرة ومنفتحة على العالم، وهي منشغلة من ثَم بإعطاء كل ثقافة أجنبية ما تستحقه من عطف ديمقراطي، وواعية في نفس الوقت بجذورها الغربية. أما المبدأ الثقافي فيسمح للأمريكيين بأخذ بعد من هذه البانوراما الواسعة، التي يمثّلها القديم إلى حدود القرن العشرين.

1 **المبدأ الأخلاقي**: والذي يعطيه كلود بيشوا أهمية كبيرة، وهو يقوم على اعتبارات تاريخية، تحيل إلى حداثة الحضارة الأمريكية، التي تكون مزيجا من الجنسيات والثقافات، وتستدعي إيجاد انفتاحات، لا تتخلص نهائيا من أصولها الغربية في أوروبا.

2- **المبدأ الثقافي**: لم يكن بد منه في البحث عن هوية ثقافية، وجدت إطارها المنهجي والمعرفي، يدور في حلقة القرن العشرين، متخلّصة من وضعية وتاريخية القرن 19، والتي سيطرت على حقول الدراسات الأوروبية لمدة طويلة.

والانبناء على المبدأين الأخلاقي والثقافي، معناه أن تكون شخصية مقارنة قد استفادت من نتائج وإنجازات أوروبا، دون أن تظل حبيسة بيتها، في علاقة الأسباب بالمسببات. ومن ثمة وجدت "المدرسة الأمريكية" التي لم ترتبط بالمستعمرات، بشكل مباشر كما هو عليه –الشأن في أوروبا نفسها– غير ملزمة بظروف لم تعشها، فكان من

الطبيعي أن يخضع منظور الدرس الأدبي المقارن لوضعية ومواضعات ثقافية متجددة، وذات وسائل إنتاجية ضخمة.

فكان هذا الوضع الجديد وراء تواجد منظورات وتجاوز مواقف ضيقة، حملت مقاربات الدرس المقارن على إعلان قطائع معرفية ومنهجية، مع الدرس الأدبي الأوروبي عامة، وفي إطار عرفت المقارنات تجددها، واكتسبت نفسا آخر سمح لها بنوع من الريادة.

كما يلح ويليك على ضرورة الاعتراف بالدور الجوهري للنقد الأدبي في كل دراسة للأدب، وبدل اعتبار العمل الفني مجرد علاقات خارجية فهو يؤكد على دعم مفهوم بنية العلاقة والمعنى اللذين يحددان العمل في حد ذاته. فإعادة التوجيه التي يدعو إليها ويليك، تتمظهر في الجمالية والنقد الأدبي، حيث يصبح التاريخ الأدبي عن وعي تاريخا للنقد، وفعلا للتخيل.

ثانيا/ المدرسة الإنجليزية:

الأدب المقارن في إنجلترا :

كما عرفنا سابقاً، ففرنسا هي أكبر دولة أولت عناية فائقة للأدب المقارن، وأسست له وأصلت لتنظيره، ولكن هذا لم يمنع من ظهور مدارس الأدب المقارن في بلدان أوروبية أخرى وعلى رأسهم إنجلترا، حيث تأثر نقادها وبشكل واضح بالمدرسة الفرنسية.

وقد ظهرت دراسة بعنوان "الأدب المقارن" لـ: بوسنت، ربط فيه بين الدرس المقارن ومجريات المجتمع "**فأوجب أن يقف الأدب المقارن على التطورات الاجتماعية ويحاول ربطها بالتطورات داخل الآداب القومية المختلفة، لأن تطور الآداب لديه تطور يعتمد على أسباب اجتماعية** " [1] وهذا تقاطع كبير مع ما تذهب إليه المدرسة السلافية القائمة على ركيزة المجتمع أساس الاستقرار والتطور، على الرغم من انعزالية الثقافتين الروسية والانجليزية، فهذا ما كان لافتاً للنقد وكذا دافعاً رئيسياً للتركيز على فكرة الانغماس فيم يحقق لي الاستقرار داخل البنية الكبرى ألا وهي المجتمع.

فبداية التأسيس للأدب المقارن في إنجلترا كانت متذبذبة حيث اتجهت نحو داخلها وما يخدمها، ولكن مع مرور الوقت ظهر الاهتمام بهذا الأدب، بل وتخصيص دراسات وبحوث أكاديمية في مجاله، فأضحت جهوداً تناظر وتكاد تنافس المجلات الفرنسية.

لكل أمة أدبها القومي وثقافتها التي تتباهى بها بين الأمم والشعوب، ولكن الاكتفاء لم يكن في صالح بعض البلدان والحضارات فكان لزاماً عليهم أن يطلعوا على ثقافات الغير، وعلى ميادينهم المعرفية والجغرافية، للتزود أو التأثر أو حتى التأثير.

وككل الآداب كان للأدب الانجليزي ميزاته وسماته التي أثَّثت لنظرة جديدة مسّت الشكل والمضمون، مما انعكس بدوره على منهجية الدرس المقارن لدى هذا البلد (إنجلترا) فانفرد بتشخيص خاص لمواطن التلاقي والاختلاف بين الآداب القومية بصفة عامة، وبين الأدب الانجليزي وغيره من الآداب والثقافات.

[1] طلعت صبح السيد، الأدب المقارن، ص12.

ومن المؤكد بأن رواد المدرسة الانجليزية قد تأثروا كثيراً بالمنهج النقدي، وكذلك النقد الجديد الذي يركز على المتلقي ودوره الهام أثناء عملية تلقي النص بأفكاره وثقافته وتراكيبه.

فلابد من التخصص في الدراسات المقارنة من قبل الناقد الانجليزي مع عدم إهمال دور الدرس المقارن في إبراز أوجه التشابه والاختلاف بين الآداب، ليكون ملماً بشروط المدرستين الفرنسية والأمريكية إلى حد التوفيق بينهما، مع قليل من الاختلافات التي لابد منها، نظراً لاختلاف البيئات والثقافات.

فعلى عكس باقي المدارس المقارنة، ناهضت المدرسة الانجليزية مسألة حصر الحدود أو تطبيق مجال الأدب المقارن لتتنوع النتائج، وتتوسع أكثر "**فالمدرسة الإنجليزية توسع دائرة المقارنة بين الآداب القومية، إذ تشمل آداب عدة كأن يدرس المرء علاقات الأدب الفرنسي بالأدب الألماني والانجليزي والإسباني والروسي والإيطالي، وغير ذلك من الآداب القومية وحجتها هي أن العلاقات الأدبية تتجاوز الإطار الثنائي بطبيعتها**"[1].

وعلى الرغم من السيطرة الإنجليزية من الناحية التاريخية على بعض الدول، سعياً منها إلى الارتقاء باللغة الانجليزية التي قد تصل حينها إلى السيطرة العالمية، إلا أنها لم تتعصب للغة أو الثقافة مثلما فعلت المدرسة الفرنسية، بل تقبلت فكرة استضافة باقي الثقافات، وعدم رسم الحدود الثقافية والسياسية، "**فأي محاولة لمقارنة آداب الجزر البريطانية لابد وأن يكون لها بعد تاريخي، إن التنوعات اللغوية والثقافية داخل الجزر البريطانية لابد وأن توضع في سياقها الصحيح، وليس كافياً العمل داخل تلك الحدود التي يمكننا**

[1] بن طوير بارودي: المدرسة الإنجليزية في الأدب المقارن، مجلة الخطاب والتواصل، ع7، جوان، 2020، ص355.

رسمها الآن سواءً كانت هذه الحدود حدوداً لغوية أو جغرافية أو سياسة"[1] لكن التاريخ يقرّ بسيطرة الإنجليزية، على الرغم من مرور بعض اللغات بنوع من الإحياء، مثل الكلتية والإيرلندية والغيلية، فقد تأثر الكاتب الكلتي مايكل أولوخلين باللغة الانجليزية وقدم تراثه الكلتي متمثلاً بالبطل الأسطوري كوستولين، باللغة الإنجليزية.

بالإضافة إلى "**جون مونتاجيو الذي يلخص بالانجليزية الشعور بالتواصل مع تراثه القديم في آخر أبيات قصيدته العجائز**" وهذا التوسل باللغة الإنجليزية قد يعود بالضرر على الهوية الوطنية لهؤلاء الكتاب، ولكن بالنفع على الأدب الإنجليزي في الجهة المقابلة، فيتمتع بالمكانة الرفيعة نظراً للاهتمام بها من قبل الجزر البريطانية، ولغاتها (الغيلية والأسكتلندية، واللغة الإيرلندية، التي زاد رواجها وانتشارها في عصر النهضة، وتحديداً خلال القرن التاسع عشر.

"**فزادت أهميتها بسبب رواج الأفكار الثورية في أوروبا كلها عقب الثورة الفرنسة، ولكن بنهاية القرن 18 كانت العلاقات الثقافية بين دبلن ولندن قد تخطت أي شكل من أشكال التضاد الثنائي، بين النظام اللغوي الكلتي والنظام اللغوي التيوتوني**[2] لذلك كان من الطبيعي أن تتنافس هذه اللهجات وتتغالب، ولكن بجمعها قالب الأدب الذي تجتمع فيه قواسم مشتركة (الإنسانية، والإنسان، والتاريخ، والثقافة...) وما هي إلا أهداف سامية يسعى الأدب المقارن إلى تجسيدها.

[1] سوزان باسنيت: الأدب المقارن، مقدمة نقدية، تر: أميرة حسن نويرة، المجلس الأعلى للثقافة، 1999، ص61.

[2] سوزان باسنيت: الأدب المقارن، ص69.

وما يعرف عن الأدب الانجليزي هو أنه متزمت نوعاً ما، مما زاد من عمليتي الحصر والتضييق فقد "**ظل إلى وقت قريب يحتفظ بانعزاليته، ولكن أقام علاقات مع آداب أخرى، إلا أن هذه العلاقات قد كانت ضيقة الحدود، لا تصل إلى درجة التفاؤل الحقيقي والاتصال الكامل، ومع مرور الزمن بدأ الناس يهتمون بالأدب المقارن فنوقشت فيه مجلات أدبية تناظر المجلات الفرنسية**"[1] وبفعل التثاقف والانفتاح الثقافي يبدو من المستحيل أن يدوم هذا الانعزال أو التزمت على حاله، بل كان لزاماً على هذا الأدب أن يسلط الضوء على جهود غيره وفنونه وثقافته.

وهو ما أكده القرن التاسع عشر الذي كان شاهداً على الكثير من التغيرات والتطورات التي مست العديد من المجالات خاصة "**الدراسات الأدبية والنقدية، الأمر الذي ساهم في تشكيل نظرة جديدة حول الأدب المقارن، والخروج من تلك الرؤية الأحادية التي ضيقت مجال الدراسات**"[2].

وقد قدم الناقد العربي الشدياق دراسة مقارنة تستطلع الثقافة الانجليزية وتستظهر تاريخ مدنها على اختلاف لغاتها وعاداتها، ففصل في دراساته عن عادات المملكة البريطانية ومختلف طبقاتها الاجتماعية، وديانتها، ودراسة هذا الناقد قد نشرت في أواخر القرن 19م (1870)، وتشير إلى أن إنجلترا حينها كانت لا تزال تضم إليها مدن عديدة مثل المدينة الإيرلندية والكلتية والسكتلاندية، كما ركز الشدياق في بحثه المقارن في ظاهره على لندن، ومن خلالها أجمع على العديد من الصفات المميزة للإنجليز "**فقد كانوا مثلاً يفتخرون**

[1] بن طوير بارودي: المدرسة الإنجليزية، ص356.

[2] المرجع نفسه، ص354.

بأشياء فرنسية مثل الحرير واللغة الفرنسية، والطباخين"[1] ليلتفت الناقد فيما بعد إلى تقديم لمحة موجزة عن بعض الأجناس الأدبية والاهتمام أيضاً بتقييم دور الصحافة في البلاد.

ومن أوجه الاختلاف التي تميز بها المسرح الانجليزي حسب الرؤية المقارنة للناقد، أن له غايات معنية يمررها من خلال نوعيه: التراجيدي والكوميدي، فالهدف منه هو "تعليم كثير من المحامد والمكارم والفصاحة والخطابة، لكن المترددين عليه يتعلمون كثيراً من الحيل والأسباب الموصلة إلى الوصال، وتبديل البعولة بالعشاق، وفي هذا المسرح يتفتى الشيخ ويتشيخ الفتى"[2] فليست الغايات إيجابية كما كنا نعتقد، بل تم استغلال هذا الفن واللون الأدبي وعروضه لتعليم سمات قبيحة، ركزت بخاصة على المرأة التي كان صوتها ضعيفاً حينها.

ومن المنظور الديني فقد كان للشدياق وجهة نظر دقيقة فيم يخص دياناتهم وعباداتهم التي تستمد أحكامها من التوراة والإنجيل، ومن مجمل التوصيفات التي قدمها من باب المقارنة بين معابدهم و معابدنا "**فمعابدهم بيوت لا فرش فيها ولا محاريب ولا مذابح ولا كتب ولا صور ولا منابر،... ولا يقرأون الإنجيل في كنائسهم ولا صلوات معنية وليس لهم شعائر معنية ولا قسيسون**"[3] ولكن هذا السرد الوصفي يخص الفترة اللي زار فيها الشدياق إنجلترا في أواخر القرن التاسع عشر لأن معظم مؤلفاته التي نذكر منها، الجاسوس على القاموس (1881م) وسر الليال في القلب والإبدال (1867م) "وهي

---

[1] أعمال الملتقى الدولي حول الأدب المقارن عند العرب، ص309.

[2] المرجع نفسه، ص313.

[3] خالد الكركي: الإنجليز في أدب أحمد فارس الشدياق، أعمال الملتقى الدولي حول الأدب القمران، ص315.

صورة عن فكرة القلق وثقافته اللغوية العميقة وتجربته الواسعة فتعددت مصادر ثقافته التي حصل عليها من مهنه النسخ، ومن معرفته باللغات الأجنبية وقراءاته الواسعة في التراث"[1] لذلك لا نستغرب هذا الوصف الدقيق للمجتمع الغربي والمتمثل في إنجلترا وفرنسا، ولم تكن وجهته سياحية استكشافية بقدر ما كانت تغوص في ثقافة البلاد والمجتمع والثقافة، بل وتطرق أيضاً لزمرة المستشرقين واهتماماتهم، وما تركوه وكتبوه، وفي الغالب نجده ناقماً عليهم، لأنهم لا ينسبون الأعمال واللغات إلى أصحابها، ويتحرجون من فعل ذلك، وهذا ظلم للثقافات والشعوب .

يمكن القول بأن للرحلة ولإتقان اللغات دورهما —إن توافرا لدى ناقد ما، فبالاطلاع والاستكشاف يستوسع دائرة الاهتمام بالأمم والمجتمعات، فتغدو فرصة للتلاقح، والنقد والاستزادة بالمعلومات والمعارف.

• الدّرس السّادس/ الأدب المقارن والبعد الثّقافي والاستشراق:

لانفتاح العالم دوره البارز في تطوير الدّراسات المقارنة لأن ذلك يسمح بالاطّلاع والاحتكاك المباشر وغير المباشر بباقي الثقافات، ونظرا لانغلاق العالم الذي عاش فيه اليونانيون في العصور القديمة وجدناهم غير مؤهلين للدّراسات المقارنة لذا فإنه على المقارن خوض غمار الترحال والتجوال بدافع الفضول لاكتشاف قوميته بالدرجة الأولى ومن ثم السموّ بها إلى العالمية. بفضل الأدب المقارن يكشف المقارنيّ عن جوانب وخصائص

[1] المرجع نفسه، ص273.

الأصالة في أدبه المحلي. ومن فوائد دراسة الأدب المقارن إبراز مدى تلاقح الثقافات والشعوب وتلاحمها الذي يتزايد ويتجدد يوما بعد يوم.

وهناك من اعتمد البحث في الأصول الإنسانية للتعرف على القواسم المشتركة بين الثقافات المختلفة للشّعوب والأمم فحصر بذلك مفهوم الأدب المقارن بالأدب الشعبي وساد في أوربا إلا أنه لم يعمر طويلا.

الأدب المقارن والتاريخ الثقافي :

إن الغاية من الدراسات المقارنة لم تعد محصورة في ما نجم عنه مقارنة الآداب القومية، بل يمكن للباحث المقارني أن يصل إلى نتائجه عبر تتبع المسار الثقافي لأدب ما، أو يلد ما أفرز ذلك العمل المراد دراسته، وعلاقات الشعوب فيما بينها وعديد الاتصالات والتبادلات واللقاءات بين الكتاب والمؤلفين.

فيعمل الأدب المقارن على "**إعادة جوّ من التفكير والرأي في مواجهة العالم الأجنبي، ودور الأجانب في تكوين هذا الرأي، وتقويم قائمة المحادثات، والكلام المتبادل، والصداقات بين الأدباء والكتاب الذين يفضلون المعرفة المتبادلة للثقافات**"[1]

وتعد الرحلة أهم حافز للاكتشاف الثقافي وللحث على فعل الكتابة، ولأنها الفرصة الأنسب للتنقل والالتقاء من مكان إلى مكان، ومن مجتمع إلى آخر، لتتسع معها فضاءات الأدب المقارن وتصبح أكثر تفصيلاً وشمولية "**فتصبح الرحلة بدورها نموذجاً**

[1] هنري باجو- دانييل ، الأدب العام المقارن ، ص37.

لعدد من القصص والتخيلات... فلا وجود لمغامرات حقيقية أو خيالية دون رحلات إرادية"[1] ويعد المقارن كثير الترحال رحالة متميزاً على حد تعبير دانييل وهنري بيجو "**فالمقارن رحالة لأنه لا ينسى طريق العودة وهو يتقدم داخل أراضي جديدة، ولأنه يتطلع لأن يكون نقطة تبادلات دائمة بين ما يكتشفه، وبين ما يحمله بصورة دائمة**"[2].

وهناك ما يعرف بالصورة المقارنية هو "**إعادة تقديم واقع ثقافي يكشف من خلاله الفرد والجماعة الذين شكلوه ويترجمون القضاء الاجتماعي والثقافي والأيديولوجي والخيالي الذي يريدون أن يتموضعوا ضمنه**"[3].

ولا شك أن هذه الصورة المقارنية تقدم لغة وتعرف بها، ولها جملة من الوظائف والمؤشرات التي تكتنز بالدلالات المختلفة، ومن شأنها أن تثري رصيد الفرد المتلقي، ليتجاوز المقارنة إلى اكتشاف حقول معرفية ثقافية متباينة.

إن البحث عن علاقة الدرس المقارن بالثقافة، واستخلاص الأبعاد الثقافية من فعل المقارنة بين الآداب القومية يقودنا إلى فهم علاقة الأدب المقارن بالنقد الثقافي الذي يهتم بالدراسات الثقافية، وكما نعلم فإن دائرته تجاوزت مرحلة النقد إلى مرحلة أوسع

---

[1] المرجع نفسه، ص58.

[2] هنري باجو- دانييل ، الأدب العام المقارن، ص ص 61-62.

[3] المرجع نفسه، ص91.

وسّعت بدورها من مجال الثقافة "**فمهمة النقد الثقافي متداخلة مترابطة ومتجاوزة... وبمقدوره أن يشمل نظرية الأدب، علم الجمال، والنقد، والتفكير الفلسفي، وتحليل الوسائط، ونظرية التحليل النفسي**"[1] وهذا ما يفسر زئبقية الأدب المقارن وانفلاته في بعض الأحيان، فلا يمكن للبحث المقارني أن يهتم بمجال معرفي دون آخر، بل سيصطدم بأطر فنية وجمالية تخرجه عن الأدب وعن طبيعته وعن محتواه الأصلي، لذلك ظهر فرع خاص بالدراسات الثقافية المقارنية مع "**توتوسي**" على سبيل المثار لا الحصر .

والمقارن حين يبدأ بدراساته والمقارنة بين الآداب القومية، كثيراً ما يركز على مسألة الأنساق الثقافية المضمرة حتى يستنطق مدى تناصها مع التراث، من أسطورة ودين وتاريخ وغيرها من المرجعيات .

ولولا الصلات التاريخية، وتلاقح الأمم والشعوب فكرياً وحضارياً، لما استفحل عامل التأثير والتأثر، ولما اتسعت الرؤية وكذا الآفاق المستقبلية للأدب المقارن، فأصبح الاهتمام منصباً على مسألة الخصوصية بدلاً عن الاختصاص، وتأويل المضامين.

ولعل البعد الثقافي المرجو من الدراسات المقارنة هو ما دفع بكثير من النقاد والباحثين إلى رفض جعل فعل المقارنة حكراً على الآداب القومية فقط، خاصة المدرسة الأمريكية التي أقرت بأن ما أوقع المدرسة الفرنسية في الرتابة هو تركيزها الدائم على فكرة تأثير الثقافة الفرنسية في باقي الآداب العربية، على أساس أنها الثقافة المنفتحة والمؤصلة لكل ما هو جديد وفنيّ.

---

[1] عبد القادر ميسوم، الأدب المقارن ومهاد النقد الثقافي في نسق المدرسة الأمريكية، قراءة في الروافد والمشكلات، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة خنشلة، العدد الأول، جانفي، 2015، ص75.

ولا شك في أن الاتجاه الأمريكي هو الأشدّ حرصاً على المبدأ الثقافي كمنطلق لفعل المقارنة، فهو الذي يشير إلى الجذور والعادات، والأصل الأنثروبولوجي، والطابع الأثنوغرافي، مع كثير من الاختلاف والتفاوت.

- **الأدب المقارن والاستشراق:**

ظهر مصطلح الاستشراق في نهاية القرن الثامن عشر ميلادي، وهذا لا يعني بأن الالتفات إلى الحضارة العربية الإسلامية لم يكن موجودا بل كان في الدراسات اللاهوتية، كما أسهمت روابط عديدة في دفع الدراسات الاستشراقية في أوروبا كالعوامل السياسية والاقتصادية، واعتبر هذا الدّفع سعيا لتشكيل منظومة معرفية تسعى لخدمة الغرب الأوروبي وإخضاع الشعوب المستعمرة.

وما يهمّنا هو النظر إلى الاستشراق من منظور مقارن، ونركّز على منجزات بعض المستشرقين الذين اعتبروا الإسلام مركبا ثقافيا يستدعي الدّراسة بعيدا عن العوامل الاقتصادية والسياسية، وقد كان للاستشراق دورٌ في التّعريف بالتراث العربيّ، حيث قام العديد من المستشرقين بترجمة أعمال خالدة وروائع عربية متميّزة، كألف ليلة وليلة، التي ترجمها "**أنطوان غالان، وفولتير**" الذي لم يزاول فنّ القصّة إلا بعد اطّلاعه على ألف ليلة وليلة أربعة عشر مرّة (وهذا ما يبرز علاقة الأدب المقارن بالأجناس الأدبية وقد كلّف الطلبة الكرام ببحوث تطبيقية تبرز أهم التغييرات التي طرأت على الأجناس الأدبية بفعل الدّراسات المقارنة بين الآداب القومية المختلفة) ، كما ترجمها "**إدوارد لين**" إلى الإنجليزية وكان لهذه الترجمات دورها البالغ في الآداب الأوروبية والإنجليزية، فأثّرت قصصنا العربية، بسحرها حتى في النّقد الأدبيّ الغربي.

وقد أسهم المستشرقون في إخراج عشرات المخطوطات واهتموا بالبرديات وانتشار الإسلام وترجما القرآن واهتموا بالحديث النبوي والقراءات، ودرسوا علم الكلام والتّصوف ولغات الحضارة الإسلامية، ففي بريطانيا بحث المستشرق **نيكلسون** في تاريخ الأدب العربيّ، واهتمّ بنشأة الأدب الجاهلي كما تحدّث عن تأثير الشّعر العربي في الشّعر الأوروبي وتأثير ألف ليلة وليلة.

وظهرت في فرنسا ظهر **ريجيس بلاشير** الذي درس شخصية وشعر أبو الطّيب المتنبي دراسة في التّاريخ الأدبي، وفي ألمانيا قام كارل **بروكلمان** بتأليف موسوعة ضخمة بعنوان تاريخ الأدب العربيّ، حيث عرّف بالشّعر الجاهلي وعرّف بالبديع، وتحدّث عن الأدب الأندلسي وعن قصّة ليلى والمجنون وأثرها في الأدب الغربي، وقام تشارلز آدم في الولايات المتحدة الأمريكية بعرض جهود المصلح الأفغاني ومحمّد عبده، وكتب كتابا بعنوان الإسلام والتجديد في مصر.

يمكن القول بأن الكتابات العربية أثبتت تأثيرها في الأدب الغربي بخاصة في الشّعر والقصّة فنشأ أدب البيكارسك المتأثر بالمقامة العربية، واعتبر الاستشراق وسيطا هاما لنقل الآداب العربية كما ساهم في تجسير الهوة الثقافية بين العرب والغرب، والتشجيع على الغرف من ثقافة الآخرين ، والتعرّف عليها وعلى خصوصياتها.

• الدّرس السّابع/ التأثير والتأثر في الأدب المقارن:

أولت المدرسة الفرنسية عناية كبيرة للتّأثير والتأثر وجعلتهما من أساسيات الدّرس المقارن، فانطلقت من إبراز مدى تأثير أدبها في الآداب القومية، واستخراج الظواهر التي تميزها وقد اتخذ التأثير أشكالا متعددة كانتشار المذاهب والتيارات الكبرى، وتعتبر المدرسة الفرنسية عامل التّأثير ضرورة لابد منها في تحديد أوجه التشابه والاختلاف بين الثقافات والقوميات مع أنها كثيرا ما تتجاهله حين تحصره في دراسة الظواهر الأدبية التي يتم البرهنة

عليها تاريخيا، وذلك بسبب سيطرتها الفكرية والأدبية على باقي الشعوب باسم القوة السياسية والاقتصادية[1].

والتأثر هو أن يستلهم الكاتب عملا أدبيا خارجا عن قوميته وثقافته، ويقلّده بنسب متفاوتة مع أحقية التغيير والتعديل، قد يقتبس الموضوع ويحاكيه سلبا أو إيجابا،وقد يتجاوز التأثر بالعمل إلى التأثّر بمذاهب نقدي أو مدراس أدبية كبرى ومعروفة.

وينبغي استيعاب الأعمال المتأثر بها، وفهمها جيدا خاصة إذا تعلق الأمر بالأساطير اليونانية والملاحم القديمة التي يجب على الكاتب المستلهم/ المتأثر أن يحافظ على أصالتها مع الإبداع طبعا، والحال نفسه مع الغربيين في حال تأثرهم بالأدب العربي قديمه وحديثه.

ومن بواعث التأثير والتأثر أن أصالة العمل الأدبي وانبهار الآخر أو الأجنبي، بالإضافة إلى الحاجة الماسة إلى التنويع والخروج من الرتابة شكلا ومضمونا، فيطعّم الأديب أدبه القوي الذي يفتقر للكثير من الإبداع والتجديد.

ولهيمنة الثقافات الكبرى دورها في توسيع دائرة التأثير والتأثر بين البلدان والشعوب، بخاصة ثقافة المستعمر الذي يسعى حثيثا لنشر أفكاره وكتاباتها بمختلف أجناسها الأدبية، وترويجها بين المستعمرات لأنه المتلقي/ المتأثر الأسهل بالدرجة الأولى.

ومن المنطقي أن ينشأ هذا العنصر عن الصلات والعلاقات المختلفة القائمة بين الدول وبالتالي ينشأ ذلك الحوار بين نصوصها فتتداخل أحيانا وتأخذ عن بعضها أحيانا وتعارض

[1] ينظر وجدان يحي محمّداه، الأدب المقارن في سورية، أطروحة دكتوراه، 2000، ص123.

بعضها أحيانا أخرى، ولعل الظاهرة الأبرز في هذا الشأن هي ظاهرة التناص بما تحمله من ملامح الانجذاب نحو الأثر والإعجاب به أو غير ذلك. ومن هنا ينبغي تحديد المؤثِّر والمتأثر ولا بدّ أن الاول أسبق في نتاجه من الثاني.

تمتد اهتمامات الباحث في الأدب المقارن "**إلى دراسة نوع التأثر الذي غلب على الكاتب في لغته التي يكتب بها بعد أن استفاد من أدب آخر، وهو ما يطلق عليه بـ: تأويل الكاتب لما قرأه من الآداب الأخرى**"[1].

وهناك نوع من التأثر يسمى بالتأثر العكسي، وذلك حين يقرأ الكاتب لغيره من المؤلفين، ولكن حين يأخذ عنهم المادة أو القصة أو الموضوع، فسنجده قد ابتعد كثيراً عن المعنى الأصلي، فيقول عكس ما قاله المؤلف الأول، مثل ما حدث مع الكاتب المصري أحمد شوقي مع مسرحية كليوباترا لوليام شكسبير، وحتى خالف القصة الحقيقية، فصورها امرأة باسلة عظيمة في عين التاريخ، واتخذها "**مثالاً للتضحية بحبها في سبيل الوطن والدفاع عنه، وذلك على عكس الفكرة اللي راجت عنها في الآداب الغربية التي صورت كليوباترا في صورة المرأة المستهترة التي تلعب بالرجال**"[2] .

والتأثير نوعان إيجابي وآخر سلبي أما **الأول** فهو الناجم عن أعمال ضخمة فكرا وثقافة تنطلق من حيزها الجغرافي حتى يتم اعتمادها وإشعاعها عند الآخرين، بترجمة صحيحة غير زائفة أو مشوّهة للعمل الأصل، ومن أمثلة هذا التأثير الكتب المشهورة كألف ليلة وليلة، كليلة ودمنة، رباعيات الخيام، أعمال وليام شكسبير وإليوت.

---

[1] عبد القادر ميسوم، الأدب المقارن ومهاد النقد الثقافي في نسق المدرسة الأمريكية، ص35.

[2] عبد القادر ميسوم، الأدب المقارن ومهاد النقد الثقافي في نسق المدرسة الأمريكية، ص36.

وأما التأثير **الثاني** أي السلبي فينجم عن حركة التقليد البعيد عن العطاء المتجدد وكذا الترجمة الخاطئة، وكثيرا ما يقصد المترجم الحطّ من قيمة العمل المُتأثّر به فيقوّله ما لم يقل، ويخرج عن نطاقه الدلالي مثلما فعلت" أنا بلاكيان" حين ترجمت أعمال الشاعر الفرنسي بودلير بطريقة غير صحيحة، وجعلت منه شعرا رمزيا وهو بعيد كلية عن ذلك.

- **أنواع أخرى للتأثير** :

للتأثير عدة أنواع لأن الاستلهام يختلف ودرجات الأخذ متباينة هي الأخرى، نذكر منها حسب تقسيم الناقد صابر عبد الدايم :

1- **التأثير الشخصي** :

وهذا النّوع من التأثير شائع جدا في الأعمال الأدبية" **أي أن يتخذ الأديب شخصية ما نموذجاً، كتأثير جان جاك روسو بشخصيته التي اتسمت بالمهابة والوقار في الآداب الأوروبية، والعقاد في منهجه النقدي يشبه منهج هازلت الناقد الإنجليزي"**[1] وخاصة الأدباء العالميين فهم ونتاجاتهم قدوة الكثيرين فكريا وأسلوبيا.

يركز الأدباء المقارنون على مسألة "**التأثير والتأثر**" كثنائية تستلزم إحداهما الأخرى، ولعل هذا المركب قد كان أبرز مؤشر على وجود تلاقح واحتكاك، وأخذ أو عطاء ثقافي بين الآداب والقوميات، والتأثير معناه انتقال الأفكار، وكذلك القيم الإنسانية التي تحتوي عليها الآداب الأخرى .

[1] صابر عبد الدايم، الأدب المقارن بين التراث والمعاصرة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، **مصر، ط2 ، 2003**، ص39.

وهذا لا يعني عدم وجود تأثيرات متبادلة بين الكتاب وآدابهم القومية، و"علماء الأدب المقارن لا يبحثون عن نسبة بين أدب وآخر، بل عن سلسلة من النسب لا يهمها أن تكون متفاوتة، مع ضرورة إقامة الدقة في إقامة علاقات التأثير، واختيار أدباء نموذجيين ومن بيئات صالحة للتأثر وذلك للمحافظة على الطابع الإنساني للدراسات المقارنة، فيتم الاهتمام بالفرد واللغة والأثر، والأمة، ثم يأتي دور التأثيرات الخارجية المتبادلة بين الآداب القومية[1].

ونحن نرى "**التأثير الذي مارسه المؤثر جيداً، ولكننا نجهل ما حدث بالنسبة للتأثير الذي خضع له المتأثر، إن التأثير لا يصل إلى أن يكون هي خلاقاً للقيم الأدبية**"[2] وكثيراً ما يسلط المقارنون الضوء على صورة الشعوب وطبيعة ثقافاتهم، لاستخلاص العناصر التأثيرية، وكما نعلم فإن الصورة هي "**تمثيل فردي أو جماعي يدخل فيها عناصر ثقافية وتأثيرية موضوعي وذاتي، فلا يمكن لأي أجنبي أن يرى بلداً كما يريد أهله أن يراه، بمعنى أن العناصر التأثيرية تفوق العناصر الموضوعية**"[3] فيسعى الباحثون إلى البحث عن صورة ذاك البلد في المنظور الثقافي لبلده (اقليمياً، اجتماعياً، ثقافياً، تاريخياً...إلخ).

هناك ثلاثة أنواع أخرى أيضا للتأثير [4]

-**التأثير الشخصي**: كتأثير جون جاك روسو في عديد الأعمال.

-**التأثير التقني**: مثلاً: عظمة الدراما الشكسبيرية إزاء الرومنطقيين الفرنسيين.

---

[1] ينظر: ماريوس غويار، الأدب المقارن، ص ص 88 -89.

[2] كلود بيشوا وأندريه م روسو، الأدب المقارن، تر: أحمد عبد العزيز، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، 2001، ص133.

[3] ينظر: كلود بيشوا وأندريه م روسو، الأدب المقارن، ص 144.

[4] المرجع نفسه، ص25.

-**التأثير الفكري**: مثلاً كانتشار الفكر الفولتيري .

-**التأثير في المواضيع أو الأطر**: مثل استعارة المواضيع من المسرح الاسباني إلى المسرح الفرنسي في القرن 17م.

وهذه التأثيرات لا يجب أن تتوفر كلها في أدب مقارن دون آخر، لأن الأمر راجع إلى قناعة الكتاب، الذين يمكن اعتبارهم متأثرين قبل أن يكونوا مبدعين، أو أصحاب أفكار. وهناك من الكتاب من كانوا ضحايا تحركات أيديولوجيات وأفكار، وحتى يفهموها جيداً فلابد من التنقيب حتى في البواعث النفسية والتاريخية والمجتمعية الدافعة لكتابتها.

-التعبير: ومصادر الأسلوب والصور الأدبية، وباختصار الثوب الأدبي الذي اكتساه العمل.

-الأفكار والمشاعر: وتشمل الاضافات الفكرية من أي لون.

والمتلقي من أبرز الأقطاب التي ستستنطق الأذواق المختلفة رغم بعثرة المشاعر، فيجد أفكار ومذاهب (الوجودية، الواقعية الرومانسية، الكلاسيكية...) بآليات كتابية معينة تعكس ثقافة كاتبها وبيئته، ولا يتم هذا الاستنطاق إلا بعد قراءة البحوث المقارنة، ويميز بين التأثير والتقليد، وكيفية النقل والقصدية واللاقصدية، بل وحين يتمعن في التفاصيل سيكون لديه تقييم فكري وآخر فني لكلا العملين، ثم سيتوجه إلى إيجاد الأصول وقراءتها وتأويلها إذا كان مهتماً أكثر.

ويرجع بذلك إلى المصادر المكتوبة ويتقفى جوانبها الخفية عبر التحليل والتعمق في مضمونها ونشأتها وغاياتها، ومن هذه المصادر ما هو مرتبط بالزمن والتاريخ، ومنها ما هو مرتبط بالأفكار والموضوعات، ومنها ما هو مرتبط بالكاتب والمؤلف، وبذلك "**يمكن**

تقسيمها إلى فردية تتصل بالموضوع الذي يدرسه الباحث، وبالأفكار التي تحتويها، والأشياء التفصيلية المتصلة به، وإجمالية سواء اقتصرت على نوع أدبي، أو أمة من الأمم أو شاملة لمختلف الآداب"[1] وللتفصيل أكثر في أنواع هذه المصادر، يمكنكم العودة إلى مرجع محمد السعيد جمال الدين (ينظر الصفحات 284-285).

- **الدّرس الثّامن/ الأدب الإسلامي المقارن:**

لطالما اعترف الأدب المقارن بصدارة الإسلام ومكانته، ومدى تأثيره في الآداب الأوروبية ولقد حقق الأدب المقارن إنجازات واسعة في هذا المجال بدءا بالتركيز على ملامح الثقافة الإسلامية في الأدب الأوروبي، متأثرة في ذلك بالآداب الإسلامية والمشرقية.

ومن بين أهداف الأدب المقارن أنه يزود "**الآداب القومية بأفكار واتجاهات جديدة حين يجد مثلاً الأدب القومي لدولة ما ألواناً أو اتجاهات كانت تنقص أدبه"**[2]. وهذا ما

[1] ماريوس فرانسوا غويار، الأدب المقارن، ص283.

[2] المرجع نفسه، ص 48.

يدفع إلى المغالبة والمنافسة ولكن دون تعصب أو أي تقزيم مبعثه الغيرة أو السعي لفرض الثقافة المحلية على حساب آداب والانتاجات الثقافية للغير .

والمجتمعات الإسلامية بدورها عرفت احتكاكاً وانفتاحاً على غيرها من المجتمعات، مما أدى إلى شغف الآخر الغريب بقراءة ما تفرزه هذه المجتمعات، وما يميز الشعوب الإسلامية، ولعل الدافع إلى هذا التلاقح هو الاكتشاف من جهة والتعرف على الثقافة الإسلامية، بالإضافة إلى الربط الفكري والمعرفي الذي عاد بالنفع لكلا الطرفين (العربي والغربي) .

وقد اختلط المسلمون مع الهنود والفرس، فأخذوا عنهم عدة علوم ومعارف، وحتى اللغة العربية تأثرت هي الأخرى بمصطلحات جديدة مختلفة الدلالة "**ومن هنا دخل إلى اللغة العربية كثير من الألفاظ والاصطلاحات الفارسية الخاصة بهذه الشؤون... واستطاعوا بعد ذلك أن ينقلوا إلى العربية ما كان عند شعوبهم قبل الإسلام من علوم وفنون**"[1]. ولعل المهتم بالمقارنة وحضور الموروث الإسلامي في الآداب الأخرى كحضور مفردات عربية في اللغة الفارسية مثلاً، سيجد نفسه منساقاً نحو استظهار مدى حضور المصطلحات الغربية في اللغة العربية .

إن ظاهرة تأثر الآداب والثقافات ببعضها البعض ليست بالجديدة علينا سواءً بين العرب والغرب أو الشرق والغرب، ولعل التأثر الروماني بالإغريقي لأقدم وأعمق دليل على ذلك، "**والأدب العربي تبادل بدوره التأثير والتأثر مع الآداب التي التقى بها بعد انتشار موجة الفتوح الإسلامية في المناطق التي كان يوجد بها الأدب الفارسي على نحو خاص، أو**

[1] المرجع نفسه، ص88.

بعد انتشار موجة الترجمة في نهاية العصر الأموي، وبدايات العصر العباسي"[1] والترجمة كانت وليدة التأثر باليونان والهنود، وقد كان الباعث إلى نقل علومهم ومعارفهم إلى اللغة العربية هو العلوم الهندسية والطب، إلى أن جاءت فترة إشباع العواطف بالشعر والفن، وكذا العقل بالحكمة والفلسفة كذلك .

- **الأندلس معبر للثقافة الإسلامية في أوروبا:**

سلّم المقارنون الأوروبيون بأن الأندلس هي الجسر الذي مرّت من خلاله الثقافة الإسلامية إلى أوروبا ثم للعالم أجمع، ومن ملامح هذا العبور هو تأثر الثقافة الأوروبية بأخلاق الفروسية، والحب العفيف وقد تتبع الباحث الإسباني "خوليان ريبييرا" كيفية انعكاس مظاهر النخوة والشجاعة والغزل العفيف على المزاج الأوروبي، فأضحى للمرأة مكانتها، بفضل ما راج في أشعار التروبادور الذي ظهر بعد التأثر بالموشّح الأندلسي، فأثرت هذه الأغاني على الشعر الغنائي في الآداب الأوروبية كلها وحتى في القرون التي تلتها[2].

وقد ظهرت المؤثرات الإسلامية على مختلف المستويات في الأدب الأوروبي، وذلك عبر مستويين اثنين:

المستوى الأول: المتعلق بالطبقة العليا والأغنياء، وتضم رجال الدين المسيحي وطبقة الفرسان واللغة الرسمية للكنيسة هي اللاتينية، ولطالما ضيّق الخناق على الأدباء والشعراء، مع التعصب للدين المسيحي ورفض أي مؤثر خارجي.

---

[1] أحمد درويش، الأدب المقارن (دراسة نظرية وتطبيقية)، دار النصر للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 2006، ص18.

[2] ينظر: الأدب المقارن، دراسة تطبيقية في الأدبين العربي والفارسي، محمد السعيد جمال الدين، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط3، 2003، ص17.

المستوى الثاني: تحقّق في هذه المرحلة ما يعرف باستقلال الآداب الأوروبية، فوجد الأدباء راحتهم التامة، وخرجوا عن سيطرة اللاهوت والكنيسة، وأتيحت فرصة التأثير للثقافة الإسلامية في الآداب الأوروبية، وهذا ما أقرّه العالم "**أرتورو غراف**" الذي أفاض في بحوثه كثيرا حول الأدب الإسلامي وأمداء حضوره في ثقافة الآخر، وقد تم محاكاة الأصول الإسلامية في مختلف القصص وذلك من خلال الرحلات التي قام بها القديسون المسيحيون.

بالإضافة إلى انبهار الحضارة الأوروبية في عمومها بالأدب العربي كمغامرات السندباد، وقصص السندباد البحري، والحسن البصري، والخضر ذي القرنين، ولا ننسى التأثير الكبير لرسالة الغفران في الكوميديا الإلهية لدانتيه ألغيري، وقد عدّها المستشرقون الإسبان أحسن تعبير عن الأثر الإسلامي. حيث تغلغل الإسلام بقوة في عمل دانتيه الذي استمد جانبا كبيرا من مادته من الإسراء والمعراج التي أقرها كل من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

وأمثلة حضور التراث الإسلامي في الآداب الأجنبية عديدة، ففنّد – هذا الحضور– فكرة التعصّب الديني، أو العداء للإسلام، ولفعل المقارنة يدها في تأكيد التقارب الشديد بين الحضارتين والأدبيين الذي مازال مستمرا إلى يومنا هذا.

وقد تبين في الدراسات المقارنة أن الآداب الإسلامية قد غذّت العديد من الآداب القومية الكبرى، وزودتها بموضوعات خارقة ومتميزة في شكلها ومضمونها، كحكايات ألف ليلة وليلة، والمصباح السحري ومعروف الإسكافي وغيرهم، كما أسهم الأدب المقارن في إبراز مدى التفاعل الشديد بين الأدبين وعمق الروابط والصلات الفكرية بين الأدب الإسلامي (عربي/فارسي) والأدب الغربي (الأوروبي تحديدا).

وانتشار أدى بدوره إلى تلاقحٍ ثقافي لافت وتبادل المعارف والآداب والعلوم، وحتى الترجمات للكتب والمؤلفات، فانتشر الدين الإسلامي كثقافة بارزة في الآداب الأوروبية، لما فيه من قصص وإعجاز وأحكام، ومضامين فكرية هادفة كالأخلاق والمعاملة، والمساواة والحرية، وتكريم المرأة وغيرها، ولا شك أن الأدب العربي قد استوحى العديد من المنجزات من الثقافة الإسلامية، فأصبح لدينا ما يعرف بالأدب الإسلامي، الذي انتشر وأثر في الثقافات الغربية وخاصة الفارسية، فمثلاً أثر على الأقصوصات الشعبية الفارسية وحتى الفرنسية، مثل **"كليلة ودمنة وقصة كبير الموبدان وكسرى برويز"، هذه من أبرز الأقاصيص التي دلت على التأثر بين الثقافتين العربية والفارسية، فدخلت إلى أدبنا العربي "والحق أن هذا التوافق بين هذه الأقصوصات وأصولها في العربية والفارسية لا يمكن أن يدع مجالاً للشك في تأثر الأدب الفرنسي بها، تحت مسمى الفابليو" ومع ذلك حاول بعض الدارسين الفرنسيين مثل جوزيف بيدييه Pedipih إنكار تأثر هذه الأقصوصات بالآداب الشرقية الإسلامية"**[1] جاء هذا الإنكار مبالغاً فيه، خاصة وأن هناك صلة وثيقة بين الثقافتين الأوروبية والإسلامية والمشرقية تحديداً.

كما لا يغيب عنا أن الأندلس قد كانت ممراً بارزاً لنقل الثقافة الإسلامية إلى أوروبا والجسر العظيم الذي نقل الموروث الإسلامي إلى العالم بأسره فيما بعد، وعلى الرغم من أن الدين المسيحي قد كان مقدساً في أوروبا في العصور الوسطى، وكان شعار الحروب، وشغل العام والخاص، سواءً أكانوا رجال دين أو أناساً بسطاء وعاديين.

[1] محمد السعيد جمال الدين، الأدب المقارن، دراسات تطبيقية في الأدبين العربي والفارسي، ، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط3، 2003، ص16.

إلا أن هذا الأمر لم يمنع من استقبال ثقافات الغير، وبالأخص الموروث الإسلامي فقد نبّه أورتوجراف أحد أكبر علماء اللغة إلى "**وجود آثار ملحوظة للأدب الإسلامي في القصص الديني المسيحي نفسه... والقصص تشتمل على وصف لرحلات بحرية قام بها القديسون المسيحيون كقصة القديس براتدان ونظائرها من القصص التي راجت في أوروبا ابتداءً من القرن (11م) تُفْصحُ عن تشابه نموذجي يدل على محاكاة للأصول الإسلامية**"[1]

ومن أبرز القصص التي أثرت في الثقافة الأوروبية: الحسن البصري، والخضر، وذي القرنين، وغيرها. ومن قصة الإسراء والمعراج التي أثرت في الأدب الإيطالي في الكوميديا الإلهية لدانتي، فمادتها مأخوذة ومستوحاة من معراج النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا ما أكده المستشرق الإسباني آسين، حيث قسم دانتي كوميدياه حسب التقسيم المسيحي: الجحيم، المطهر، الفردوس، وصاغ هذه المراحل صياغة خيالية قائمة على عنصر الرحلة، والدهشة والتشويق، رغم أن الكثير من الباحثين قد أقروا بأن خبايا دانتي كانت قائمة على الإسلام، لكن هذا لم يمنع من التأثر العميق والواضح من خلال الكوميديا الإلهية .

وقد كان للآداب الإسلامية دور كبير في إغناء المسرحيات الغنائية الأوروبية، التي تتكئ على الحوار الداخلي، ومن المتعارف عليه أن هذا اللون الغنائي قد راج وانتشر في القرن 16م في إيطاليا. وقد "**غذَّت الآداب الإسلامية هذا الجنس الغنائي بموضوعات مختلفة ومنها موضوعات ألف ليلة وليلة، كموضوع علاء الدين والمصباح السحري**

[1] محمد السعيد جمال الدين، الأدب المقارن، ص20.

ومعروف الإسكافي وغيرهما"[1] وهذا ليس فيه إهدار لأي موروث غربي أو أجنبي آخر بقدر ما يسعى إلى التعريف بالثقافة الإسلامية، وإيصال تقاليدها ومعتقداتها إلى العالم بأسره .

- **أثر الأدب العربي والثقافة الإسلامية في الأدب الألماني:**

من المعروف أن جوته هو شاعر ألمانيا والأديب العالمي، وقد عُرف هذا الكاتب بانبهاره بالتراث العربي وبخاصة "**الشعراء العرب القدامى، ويرجع هذا الإعجاب إلى أن العرب في رأيه أمة تبني مجدها على تراث موروث وتتمسك بعادات تعارفت عليها منذ القدم**"[2] بالإضافة إلى إعجابه الشديد بالنص القرآني، وبسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وبأدب الرحلة، وببحوث المستشرقين حول التراث العربي، وكانت له محاولات عديدة في مجال الترجمة، وركز على القصائد الجاهلية كشعر **"تأبّط شراً"** وقدم رؤاه وتحليلاته الفنية لها، كما تأثر بشعر زهير بن أبي سلمى الشاعر المخضرم المعروف بحكمته ونظرته المنطقية للحياة .

ومما يدل على تأثر جوته بشعر وحكمة زهير بن أبي سلمى ما أقرته الكاتبة **"كاترينا مومزن"** كشكل من أشكال المقارنة بين الأدبيين (الألماني والعربي) "**أن جوته قد عارض**

---

[1] محمد السعيد جمال الدين، الأدب المقارن ، ص23.

[2] صابر عبد الدايم، الأدب المقارن بين التراث والمعاصرة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، ط2 ، 2003، ص91.

بأبياته زهير أي أنه دبَّج مقطوعته في إطار النقائض الشعرية تماماً كما كانت عليه الحالة في الأبيات التي عارض بها زهيرا في موضوع السأم من الحياة عند الكبر"[1]

كما وضحت الكاتبة **مومزن*** "تأثر جوته بالثقافة الإسلامية وركز على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وقال قصائد عديدة، معتمداً فيها الاقتباس من القرآن الكريم:

أتدري لمن يقوم الشيطان بالمرصاد

في القيافي بين الصخور والأسوار

وكيف يجيل فيهم النظرات الحداد

مقتاداً إياهم إلى أبواب النار؟

إن هؤلاء هم الكذابون الأشرار.[2] (ص102)

ويقول جوته مستوحياً أصداء البيان القرآني، وأحداث السيرة النبوية في وصف غزوة بدر الكبرى:

بعد معركة بدر تحت السماء المرصعة بالنجوم

ليندب الأعداء قتلاهم فإنهم من الهالكين

أما الشهداء من إخواننا، فلا تندبوهم

فإنهم أحياء في أعلى عليين

---

[1] صابر عبد الدايم، الأدب المقارن بين التراث والمعاصرة، ص94.

* **للكاتبة مومزن كتاب بعنوان:** "جوته والعالم العربي" فصلت فيه حول تأثر الشاعر الألماني بالتراث الإسلامي، والشعراء العرب القدماء، كما يركز الكتاب على فكرة أن التأثير والتأثر هو سبب عالمية الآداب.

[2] صابر عبد الدايم، الأدب المقارن بين التراث والمعاصرة، ص102.

وهم أولاء يقرعون أبواب الجنة

يدخلونها بسلام آمنين [1]

- **أصداء الثقافة العربية والإسلامية في الأدب الروسي:**

لا شك في أن استخراج مواطن التأثير والتأثر بين أدبين من مظاهر المقارنة، ويتجاوز الأمر مجرد اعتماد النص الأدبي المكتوب مهما كان جنسه أو نوعه، بل يتجاوزه إلى "**المكونات الثقافية والحضارية التي قامت عليها حضارة الأمة، واستمدت منه آدابها مصادر قوتها، وعوامل تراثها وبقائها**"[2] والأدب الروسي بدوره أخذ من العديد من الحضارات والثقافات، وقد كان من الشائع أن الأدباء العرب وحتى الجزائريين (أبو العيد دودو) من أبرز المتأثرين بالأدب الروسي، والقضايا الأيديولوجية التي ينادي بها الاتجاه السوفييتي، من قوميته، والتزام، وتقديس للمجتمع والاهتمام بمعضلاته وقضاياه، ولكن هذا التزمت الذي نادى به الاتحاد لم يمنع من حضور التراث الإسلامي وكذا العربي في الأدب الروسي، وقد قدم كتاب "عبد الدايم" جوته كأنموذج للتأثير الإسلامي في الأدب الألماني، على عكس الأدب الروسي فقد وضع أمامنا عدة أسماء استدعت الثقافة الإسلامية، وحتى معاني القرآن الكريم، وذلك بفعل الترجمة مثل "**ليرمونتوف**، و**بونين**، و**بوشكين** هذا الأخير الذي تأثر كثيراً بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، فمثلاً كتب قصيدة مطولة حول نزول الوحي على الرسول في غار حراء:

يصيبنا عطش الروح

---

[1] صابر عبد الدايم، الأدب المقارن بين التراث والمعاصرة، ص ص 105-106.

[2] المرجع نفسه، ص 113.

وفي الصحراء الموحشة كنا نتمدد

فظهر لنا في مفترق الطريق

وبأصابع حقيقية مثل حلم

لمس قرّة عيني

فانفرجت مقلتاي

كأنها عينا نسر مذعور[1]

كما استحضر في شعره حادثة شق الصدر عبر استلهام معاني سورة الانشراح. وعلى هذا النهج سار كل من ليرمونتوف الذي تناول الهجرة من مكة إلى المدينة، والشاعر بونين الذي رصد القصة نفسها وصور في شعره هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم[2].

يقول **بونين**: "مصوراً بعض مشاهد المعاناة التي ألمت بالرسول في سبيل الدعوة:

حلقت الأرواح فوق الصحراء

في الغسق فوق الوادي الحجري

ودوت كلماته الجزعة

كان يجلس... ويتكلم في حزن

وليت وجه الصحراء والقفر

عزلت عن الجميع... من أحبهم[3]**!**

---

[1] صابر عبد الدايم، الأدب المقارن بين التراث والمعاصرة، ص129.

[2] المرجع نفسه، ص132.

[3] المرجع نفسه، ص133.

وغيرها من النماذج التي طرحت أمامنا رصيداً ثقافياً لا بأس به، كانت ولازالت مصدراً للدراسات المقارنة، وحتى كبار الأدباء والشعراء الروسيين قد أكدوا تأثر أوروبا بعامة وروسيا بخاصة بالتراث العربي والإسلامي "**يقول مؤكداً تأثر المذهب الرومنتيكي في أوروبا... وروسيا بالتراث العربي وأجواء الحياة العربية**"[1]. وهذا إقرار واضح بوصول الثقافة العربية بأعرافها وعاداتها وتقاليدها إلى الغرب عن طريق الدين الإسلامي وكذلك الأدب، ويقدم كتاب صابر عبد الدايم، نماذج عديدة لأدباء عرب أثروا في الفكر الإنساني، مثل: الفضل بن عياض، بشر الحافي، شاه الكرماني، الحكيم الترمذي، فريد الدين العطار، أبو طاهر الخسرواني، وغيرهم من الأسماء التي تركت أثراً أثَّث وأصَّل للثقافة الإسلامية في روسيا لدرجة أن هناك من قام بترجمة معاني القرآن الكريم، وهو ما فعله "فيريفكن" "**المترجم البارز والأديب الكبير، حيث قدم ترجمة شاملة صحيحة لمعاني القرآن الكريم، وقد لقيت التقدير من كراتشكوفسكي، وكان ظهورها حدثاً تاريخياً بالغ الأهمية في الثقافة الروسية**"[2]. ولأن هذا الاهتمام كان دافعه الاطلاع والفضول المعرفي والاكتشاف، كان أيضاً فرصة عظيمة للتجديد والتعرف على الصور والأساليب العربية الجديدة واستغلالها.

وتحدث الكتاب عن المؤثرات الأدبية وأثرها في التجربة التأملية عند أدباء المهجر (ينظر: صابر عبد الدايم، ص172) وكذلك عن أثر الموشح الأندلسي في شعر الشاعر الفرنسي الكبير فكتور هيغو، بالإضافة إلى موليير وبودلير، كيف وأن معظم شعراء المهجر يقرون بأن الموشح الأندلسي هو مصدر ثقافتهم الأولى.

---

[1] صابر عبد الدايم، الأدب المقارن بين التراث والمعاصرة، ص115.

[2] المرجع نفسه، ص 127.

• الدّرس التاسع/ أدوات البحث في الأدب المقارن ومجالاته:

تحتاج عملية المقارنة إلى العديد من الوسائل والأدوات، وكذا جملة من الشروط التي يجب توفرها لدى الباحث، فلو بدأنا مع المقارني فيجب أن تتوفر لديه "**ثقافة تاريخية كافية عن العصر الذي يدرسه لكي يستطيع أن يضع الإنتاج الأدبي موضعه من الأحداث التاريخية التي تؤثر في توجيهه ومجراه، فكيف ندرس مثلاً موضوع نشأة الأدب الفارسي بعد الفتح العربي ما لم ندرس ألوان النزاع السياسي بين الشعبين، فمعرفة التاريخ شرط مهم للدراسات المقارنة**"[1].

والثقافة على قدر اتساعها على قدر خصوصيتها، فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن يلم الباحث بجميع الدقائق والتفاصيل التي من شأنها أن تتبع فكرة الغور والتعمق اللذان سيقودان إلى نتائج أكثر دقة وإحاطة وموضوعية.

ومن بين الأدوات أيضاً اعتماد منهج واضح المعالم للدراسة وللمقارنة، وحبذا لو انطلق في مقارنته من الكاتب أو المنجز الأدبي المتأثر كنصّ لاحق، ثم الرجوع إلى النص الأصلي أي المؤثر، فيستخرج أوجه التشابه والاختلاف، وهنا تأتي وظيفة المنهج الذي سيساعد على تحديد طبيعة التأثر، ومواضع التشابه، وما يميزه ثم سمات النص الأول والثاني، وذلك من خلال تجاوز مرحلة التعرف على العمل إلى مرحلة استظهار ما بين السطور، مثل قراءته من زاوية تاريخية، فيكشف عن أحداث قد يتم إعادة قراءتها بأسلوب مغاير، بل وإعادة إنتاجها من جديد، أو من زاوية نقدية فيتم الحكم على الآداب بعد فعل المقارنة بالجدة أو الجودة أو السطحية أو التقصير الفكري مثلاً، أو من زاوية فنية حيث يركز أصحاب هذا

[1] عبد القادر ميسوم، الأدب المقارن ومهاد النقد الثقافي في نسق المدرسة الأمريكية، ص41.

المنهج على مدى مراعاة الكاتب أثناء كتابة نصه هذا للذوق الفني العام لمجتمع القراءة، وكذا براعة استغلاله للمتعة الفنية التي يرومها القارئ قبل الذات المبدعة.

أولا/ أدوات البحث المقارن:

كانت المدرسة الفرنسية في البحث المقارن شديدة الحرص على أمرين اثنين ألا وهما: المنهج والأدوات، وهذه الأخيرة ستتوسل بالمنهج، لتسير وفق مسار صائب ودقيق، ومن أبرز الأدوات التي يجب توفرها:[1]

1- الإلمام بالحقائق التاريخية الأساسية: وذلك بأن ينظر إلى مجمل الصلات الأدبية والعلاقات التاريخية، ويتوسل الثقافة لمعرفة مجموع التقاطعات بين الأدبين.

2- الإحاطة بتاريخ الآداب: فيجب على الدارس التعرف على الظروف، والسياقات التي أفرزت هذا النص الأدبي، بالإضافة إلى معرفة تاريخ الأدب المؤثر وتاريخ الأدب المتأثر.

3- إجادة اللغات: وهذا شرط أساسي، حيث يجب على المقارن أن يتقن لغة النص الذي يود قراءته ومقارنته بغيره، وقد يضطره الأمر إلى إتقان لغتين فأكثر.

4- القدرة على الاستعانة بالمصادر العلمية: فيوفر مجموعة من المراجع وفي عدة مجالات لاستيعاب المواضيع وفهمها.

[1] ينظر: علي عشري زايد: الدراسات الأدبية المقارنة في العالم

والباحث المقارن يجعل من المنهج متكأه العلمي لتقديم جملة من الخصائص الموضوعية والفنية لدراسته المقارنة، وقد لا يكتفي بعرض الاختلاف، ويتجاوزه إلى الحث على التغالب الفكري والثقافي المحمود عبر عرض مجموعة من المصادر التي أثرت وأغنت الأدب القومي فيتم بعث الموروث المأثور، والتشجيع على قراءة الحاضر بالماضي والتجديد في هذا الأخير، ولا يتم هذا إلا بعد اكتشافه من خلال عملية المقارنة ذات الفائدة الحقيقية.

ثانيا/ عدة الباحث المقارن :

أ- الكتب: لها أهمية كبيرة، ويجب أن يتم استغلالها بلغتها الأم، لما لها من أهمية، فتكون مصدراً أصيلاً يحوي العديد من المعلومات التاريخية، والحقائق الجوهرية.

ب- الأدباء: يقف الأدب المقارن مع الذين كانوا ممثلين لبلادهم في بلاد أخرى، أو لثقافة أجنبية في بلاده.

ج- ثروة الأنواع: الأنواع التي تنشأ وتنمو وتموت غالباً دون مؤثر ظاهر، فيتتبع الباحث المقارن نوعاً أدبياً معروفاً في أمة ما، ويؤرخ لجذورها الجلية جيداً.[1]

إن ما يقدّمه الأدب المقارن أكبر من كونه مجرد حلقة ضيقة تدور حول نفسها للاطّلاع والاحتكاك فقط لا غير وإنما لسعي لخدمة الآداب المحلية وتحديد مستواها الحقيقي وتوسيع دائرة فلكها بالانسحاب على الأجناس والأفكار والمعارف. كما يخدم بدوره سيرورة الأدب العالمي بتقريب وجهات النظر بين الشعوب منحصرا بذلك في

[1] ماريوس فرانسوا غويار، الأدب المقارن، تر: هنري زغيب، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط2، 1988، ص ص 21-20.

العديد من النطاقات ومتوسّلا العديد من الوسائط والأدوات أثناء فعل المقارنة لعل أبرزها:

أ–الكتب: بحيث يقوم بدراسة واعية معينة من الكتب قصد إثبات الصلات الأدبية المختلفة بين الثقافات ككتب التراجم والكتب النقدية لمعرفة الآداب الأجنبية الآداب الرائجة وكذا الجرائد والمجلات التي تساعد على نشر المنتوجات العالمية كمجلة الآداب الأجنبية.

ب–دراسة المؤلفين:

من أدباء مشهورين ورحالة ومترجمين مثل **شاتوبريان** المتأثر بالثقافة الانجليزية. وكذا ينبغي الاطلاع على مؤلفات الأدباء الذين كتبوا عن مختلف البيئات وحاولوا نقلها إلى العالم بلغات مختلفة مع ضرورة الحفاظ على مضامينها الثقافية لتمرير خصوصياتها للمجتمعات الإنسانية.

ج–دراسة الأجناس الأدبية:

ويعنى بدراسة مصير الأنواع الأدبية من خلال نشأتها وترعرعها وازدهارها ثم موتها كالملحمة مثلا.

د–دراسة الموضوعات:

ويسميه الألمان بتاريخ الموضوعات كدراسة موضوع "فاوست" في الأدبين الألماني والفرنسي أو "دون جوان" في الأدبين الاسباني والفرنسي.

هـ–تأثير كاتب ما في أدب أمة أخرى

و–دراسة المصادر:

وتشمل كل العناصر الثقافية الأجنبية خاصة التي أسهمت في تكوين كاتب ما أدت إلى ظهور عمل أدبي معين ويمكن حصرها في المصادر الشفوية كالذي ينطبع في ذهن وخيال الأديب، ومصادر مكتوبة وهي الأسهل للدراسة من خلال اطلاع الأديب على الأعمال الأجنبية عنه أو عن ثقافته.

ثانيا/ شروط المقارنة :

يشترط الأدب المقارن على الأديب منذ البداية أن "**يضع أدبه القومي نصب عينيه، وأن يكون هدفه من الاطلاع على الآداب الأجنبية والاقتباس منها إفادة أدبه القومي وإغنائه**"[1] فالأديب مطالب بأن يغور أكثر في الآداب المكتوبة بلغة قوميته، ويستكشف الخصائص والمجاهيل، مع مراعاة ما يتواءم وطبيعته وأفكاره ومن ثمة أفكار أمته "**ويكون الباعث الأول للأديب على هذا الاختيار الحرص على توفير عوامل النهوض للأدب القومي، وإكمال المأثور من تراثه**"[2].

والإمكانات اللغوية والمرجعيات الثقافية ضرورية جداً لتوسيع الحدود بين الآداب شريطة ألا تتعارض أو تتنافى مع خصوصيات اللغة القومية الخاصة بالمقارني، كما يجب أن تتفق مع تقاليدها وأعرافها وحمولاتها الاجتماعية والفكرية غالباً، فيُحافظ المُقَارِنُ على أصالة الأدب وأصالة لغته وثقافته.

[1] محمد السعيد جمال الدين، الأدب المقارن، ص29.

[2] المرجع نفسه، ص29.

ولكن هذا لا يعني أنه لا توجد زمرة من الأدباء المقارنين الذين أكدوا على فكرة هجرة الأصل في بعض الأحيان، بسبب التأثر المبالغ فيه بالمذاهب الأدبية والتيارات الفكرية الوافدة من الغير، وهذا ما يعود بالضرر على الأدب القومي، واللغة أيضاً، وما نرومه هو أن تصل لتراثنا العربي والإسلامي تحديداً إلى العالمية ولم لا؟

ثالثا/ مجالات البحث في الأدب المقارن:

يقارن الأديب المقارن بين الآداب القومية المختلفة لعدة غايات، ولعل أهمها هو الكشف عن مدى تغير هذه المنجزات، وما التطورات التي طرأت عليها من خلال عين غيرها من الأعمال، فقد تكون المؤثرة من التراث والماضي، في حين يكون المتأثر من الحاضر، فترتسم لدى الباحث عدة نقاط قائمة على اللغة، والأسلوب، والنماذج، ويناظر بين العملين كاشفاً عن الصلات عبر مجالات البحث المطلوبة معرفياً والمقتضاة إجرائياً، "**ومن أبرزها: الكتب والمطبوعات: للكتب دورها في نقل الأفكار بين الشعوب ونشرها بين لغة وأخرى، ولابد من التصريح بهذا التأثر والأخذ، وعدم السكوت عنه، فمثل تأثر أدبائنا العرب بموجة الشعر الحر عن طريق الشاعر الانجليزي إليوت، بالإضافة إلى تأثر إحسان عبد القدوس، وكذا نجيب محفوظ ببلزاك، ورغم ذلك ينفي كل منهما بأنه قد تأثر بأي كاتب فرنسي أو أجنبي**"[1] .

ونماذج أخرى كثيرة ومتباينة دالة على وجود تأثر مقصود أو غير مقصود، وبفعل المجلات التي تتولى نشر الأعمال المشهورة والمغمورة، فقد قرأ الفرس القرآن الكريم،

[1] الطاهر أحمد مكي، الأدب المقارن، أصوله وتطوره ومناهجه، ، دار المعارف، ط1، مصر، 1987، ص264.

وفهموا التفاسير ليزدادوا تفقهاً في مجالات أوسع وأرحب مثل التصوف، وتأويل القرآن تأويلاً يليق بالجانب الروحي، ومن هنا تزداد فرص التلاقي والتقاطع.

- **الكتاب والمؤلفون** :

لا شك أن عملية المقارنة بين الآداب تستدعي الانطلاق من الأدب أولاً وقبل كل شيء، وهذا النص الأدبي لم يأتِ من العدم وإنما هو نتاج كاتب له بيئته، وأفكاره، وثقافته التي يرتكن إليها قبل كتابة نصه، ولذلك على الباحث المقارني أن يتجاوز الوسائط أو جملة الصلات وتحديد مكانها ومناخها، أو زمانها إلى تسليط الضوء على الكاتب، الذي أفرز هذا النص بعد أن قرأ لغيره من الكتاب والمؤلفين، بل وقد يتبادل معهم وبصفة مباشرة المعارف، والأفكار التي من شأنها أن تغير فلسفة نظرة الكاتب المتأثر للحياة، بل وقد تتغير عواطفه ورؤاه ومواقفه فيتعمق أكثر، فمثلاً حين تأثر أبو القاسم الشابي بالشاعر الإنجليزي وورث، كما يجب أن ننبه إلى من مسألة أنه لا ينبغي على الأديب أن يكون بالضرورة قد تأثر بعمل أدبي أو منجز فني من نفس الجنس الأدبي الذي تخصص فيه، فبإمكان الروائي مثلاً أن يقرأ ديواناً شعرياً، أو أدب الرحلة، فيستقي منه أساليب كتابية وأفكار جديدة، مما أدى إلى تداخل متنامٍ للأجناس الأدبية.

وقد يكون الكاتب المتأثر مشهوراً بل وعالمياً ومعروفاً فيتأثر بكتابات مؤلف مبتدئ، وتكافؤ المستوى العلمي والأدبي ليس شرطاً في إثبات الصلة التاريخية وتأكيدها، لأن: "**الباحث يتناول حين يدرس تأثير كاتب أو كتاب أو نوع أدبي أو أدب بأكمله في بلد أجنبي مدى معرفة الأدب الأجنبي بهذه الكتابات، أو بتعبير أوضح مدى**

انتشارها، فيمهد لذلك ببيان العوامل التي أدت إلى تكوين الصلات بين المؤلفين أو الكاتبين"[1].

وقد تعتقد بأن الكتّاب حين يقرؤون لغيرهم بأنهم ملزمون على ما يعرف بالتأثر القسري، كأن يقرأ المُستَعْمَرُ عسكرياً وثقافياً للمستعْمِرُ الأقوى، وإنما يأتي عن قناعة، بل ومصاقباً للميول الفطرية والأهواء، والعواطف، فتستقر تلك المفاهيم والرؤى في فكر الكاتب، فينتج نصاً إبداعياً له تأثيراته المتباينة لدى القارئ.

ولابد من توفر عدة شروط في العمل الأدبي حتى يكون قابلاً **للتأثير**، وذلك بعد تحقق فعل التداخل بين النصوص الأدبية[2]:

-**الموضوع**: بوصفه مادة العمل الأدبي، ببنائه وتفصيلاته وعوارضه وأحداثه وشخصياته.

-**الشكل**: أو النموذج الأدبي، أي النوع الذي ينتمي إليه العمل المؤثر، وليس من الضروري أن يكون هو نفسه في العمل المتأثر.

وتتبادر إلى أذهاننا أسئلة كثيرة وأهمها هل ترد هذه الترجمات المعتمدة في الدرس المقارني، دقيقة وبدون أخطاء، وهل تراعي فكرة احترام المقصود من أفكار النص الأصلي، وما مدى بلوغها درجة الكمال، وهل يشترط على المقارني أن يتأكد من هذه الترجمات قبل البدء في عمليته التي تروم مقارنة تفصيلية مفصلة، وماذا إذا كان مضمون هذا النص هو مادة تاريخية أو تحتوى أسماء آلهة أو نصوصاً دينية، فهنا يجب على المترجم أن يتسلح بأساسين اثنين "اللغة والثقافة"، حتى لا يقع في الخطأ، لا حذفاً ولا

[1] الطاهر أحمد مكي، الأدب المقارن، أصوله وتطوره ومناهجه، ص268.

[2] ينظر: المرجع نفسه ، ص 272.

مسحاً ولا اختزالاً أو تحويراً لفكر معين فيحوله من أيديولوجيا واضحة وسليمة إلى أيديولوجيا غامضة وهدامة، فينزلق بالنص الأصلي إلى مزالق أخرى للأسف الشديد.

وفي أحايين أخرى قد نجد بأن المستوى الثقافي للباحث المقارن يفوت حتى مستوى النص الأصلي فيصحح وينقح، ويصنع من المادة العلمية المحدودة أفكاراً ًواتجاهات أوسع وذات أفق أرحب، وبطبيعة الحال دون مغالاة أو تعصب لأي لغة أو دين تخصه أو تخص غيره.

وقد يراعي المترجم ذوقاً معيناً، فيأبى أن يضايقه أو يسيء إليه، فيسعى جاهداً إلى التغيير في بعض المحطات والمواضع فيقع في ما يعرف بغياب الأمانة، ويعتقد بأنه على صواب لأنه قد يجرح ذوق جمهوره، فيقوم بهذه الإضافات ويبيحها لنفسه. "**وإن عملاً مترجماً لا يمكن أن يكون إلا مثل لوحة زيتية أعيد رسمها بالأبيض والأسود، النسيج وحده قد تغير، وطبعاً لن تكون التسوية الواسعة للكتل والسطوح أقل وضوحاً، وربما حتى الفروق الدقيقة جداً لا تضيع**"[1].

ولكي لا يخرج المترجم عن الإطار العام، وعن السياق لا بد له أن يراعي مسألة احترام الذات الكاتبة فكرة وأسلوبا، والسير على منواله كنوع من المشابهة لذا "**يطلب من المترجم أحياناً شيئا من التقليد، أي خضوع منضبط لأسلوب شاعر آخر، فالقصيدة التي تحاول أن يترجمها لابد أن تكون اكتشافاً بالنسبة إليه، وعلى مستوى**

[1] هنري غيفورد، الأدب المقارن، تر: فؤاد عبد المطلب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2012، ص58.

خبرته الخاصة تقريباً، وعليه أن يحترم النسق والوحدة والنسيج في النص الأصلي"[1]

لذلك يرى بعض النقاد بأن أي خلل أو نقص سيحلّ بالنص المترجم إنما عائد إلى اللغة في حد ذاتها، ومع تغير الزمن والمكان والتاريخ ومن المتغيرات الاجتماعية، لا يقدّم النص المترْجَمُ بشكل لائق فكرياً ولغوياً وحتى جمالياً، ليناسب النص الأصلي، وقد لا يرتقي إلى مصاف العالمية **إن القانون الأول للترجمة واضح: لا شيء يمكن أن يعد نهائياً، إن كل عصر يصور الأدب عبر موشور اهتماماته الخاصة، وهذه الاهتمامات تتغير بشكل متوافق مع التبدلات التي تحدث في التاريخ الإنساني"**[2].

وعلى المقارن أن يستعين بجملة من الأدوات أثناء دراسته "كأن يكون[3] "

- على حصيلة واسعة من الدراسات التاريخية لفهم الأحداث وتطورها.

- الإحاطة الواسعة بتاريخ مختلف الآداب، والوقوف على المؤثرات التي أثرت في الإنتاج الأدبي في ذلك العصر .

- أن يكون على معرفة باللغات المختلفة لقراءة النصوص المختلفة بلغاتها الأصلية .

- أن يكون على دراية واسعة بالمراجع العامة، ومعرفة أهم الأعمال الأدبية التي تعينه على فهم لون من ألوان الدراسة .

- الرحلات التي تساعده على فهم الثقافات ومزاج الشعوب وميولهم .

---

[1] هنري غيفورد، الأدب المقارن، ص66.

[2] المرجع نفسه، ص51.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص ص 7-8.

على المقارن أن يبرر العلاقات التي يقيمها، "**والتحولات التي طرأت على هذا الأدب الأجنبي أو ذاك، والقراءات الجديدة التي تستطيع أحياناً أن تكشف عبر المقارنات وجوهاً مستحدثة مجهولة في بعض النصوص**"[1] ولا يمكن حصر مهام المقارني في نقطة أو نقطتين بل يتعداهما إلى ما أعمق وأوسع حيث يتداخل في اهتماماته وتوقعاته ومقارناته وتمحيصاته مع عدة مجالات وعلوم فلا تقتصر مهمته على وزن المادة الأدبية قبل عملية الامتصاص أو الإخراج وبعدها، أو عمل توازن للصيغ... كما يشارك النقد الأدبي في البحث عن لغته وأبنيته العقلية خارج الشعر وفي مجموع العلوم الإنسانية"[2].

[1] هنري غيفورد، الأدب المقارن، ص 25.

[2] كلود بيشوا، أندريه م روسو، الأدب المقارن، ص143.

• الدّرس العاشر/تأثير الآداب العربية في الآداب الغربية:

سيتم في هذا الدّرس تبيان تأثير رسالة الغفران لأبي العلاء المعرّي في الكوميديا الإلهية لدانتيه ألغيري، والبحث في أوجه التشابه والاختلاف بينهما. ويؤكّد المقارنون التقاطع الكبير بين رسالة الغفران والكوميديا الإلهية على الرغم من غياب دليل علمي قاطع يدلّ على وجود الصّلة التاريخية بين العملين والملاحظ هو أن كلا من الكاتبين قد استلهما بشكل كبير مبنى عمليهما، من قصّة الإسراء والمعراج الواردة في الدين الإسلامي، وإن كان المعرّي قد توفي بأكثر من قرنين (293) قبل دانتيه، فلعلّ هذا المؤشّر يقرّ بتأثر الكاتب الإيطالي بما قدّمه المعرّي، ونسج ملهاته الخيالية على منوال الرسالة.

اخترنا في هذه المحاضرة أن نقدم قراءة في كتاب "صلاح فضل والمعنون بـ: **تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهي لدانتي** [1] "وكلنا نعلم مدى التأثير البالغ الذي أحدثته حادثة وقصة الإسراء والمعراج في الكوميديا الإلهية للكاتب الإيطالي دانتيه، ونحن نتحدث عن التأثير لا التقليد فالفرق بينهما واضح ودقيق، وعلى الرغم من أن للظروف التاريخية دورها الفاعل في انتقال الأفكار واستيراد المعار، والمبادئ والرؤى بل وحتى اللغة التي نتفق كلنا على أنها روح وفكر وثقافة، قبل أن تكون مجرد حروف أو ألفاظ لها نظامها الصوتي والصرفي والدلالي.

ودانتي ألجيري من أبرز الكتاب الإيطاليين الذين أكدوا تأثيرهم لا تقليدهم، للموروث الإسلامي، وذلك من خلال عمله الخالد "الكوميديا الإلهية"، وبما أن هذا العمل يحسب

[1] صلاح فضل، تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط3 ، 1986.

على الأدب العالمي، فإنه سيمرر تأثيره إلى باقي الآداب الأجنبية، ليحق للنقاد أن يبحثوا عن جذور هذا التأثر، وأبعاده الإنسانية والروحية فيم بعد.

ويتميز دانتيه كمتأثر بالثقافة الإسلامية (ولأننا نتفق مع فكرة التركيز في الدراسات المقارنية على المتأثر قبل المؤثر ألجيري/المعريّ) فإننا سنبحث عن المنطلقات التي حفزت دانتيه على قراءة التراث الإسلامي العربي والأخذ من الموروث، لنقله إلى لغته القومية "**ودانتي يعلم الشعراء أن يكونوا خدماً للغة لا سادة عليها، بمعنى ألا يثقلوا عليها مما لا يستطيع أن ينتفع به أحد سواهم، بل يعطونها روحاً حين يكتشفون جميع إمكاناتها وينقلونها للأجيال التالية أكثر نماءً وصفاءً ودقة**[1]".

فالباعث إلى قراء رسالة الغفران القائمة على حادثة دينية عميقٌ جداً، ولا يقدم ملاحظات هامشية فقط لما يقرؤه، وإنما يتجاوزه إلى النسج به ومنه وإليه، فيتضح الاتصال القائم على الانبهار والاستيعاب، المسيطر على الدوافع القومية لدى الكاتب الإيطالي.

ودانتيه كغيره من الكتاب الذين اطلعوا على المخطوطات القديمة، والقصص المفقودة، أو القصص الشعبية الفولكلورية المستوحاة من التراث العربي القديم، والإسلامي بخاصة. يذكر صلاح فضل في مؤلفه عوامل التأثير المتنوعة وكذا مستوياته التي أدت إلى تأثر الكاتب بالثقافة الإسلامية وبرسالة الغفران، وبجملة العناصر الصوفية، وقد قدم الكتاب تعريفاً مفصلاً للثقافة، ويعلل اهتمامه بالثقافة والوقوف عندها إلى أن التأثير الحاصل بين العملين إنما عائد إلى حضور ثقافي لافت " **فالمؤثرات الإسلامية في الكوميديا الإلهية ذات طابع**

[1] صلاح فضل، تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي ، ص23.

ثقافي شامل، فهي لا تقتصر على نصوص أدبية بذاتها، ولا على الأفكار الدينية المعتد بها، بل تخللتها عناصر فولكلورية شعبية"[1].

ويفسّر الكتاب هذه الصلة التاريخية من منظور ثقافي قوامه التقاطع الثقافي الحاصل بين العرب والغرب (أوروبا تحديداً)، وكيف أن الشاعر الإيطالي قد استوحي عديد الأحداث والأفكار أثناء نسج وتقسيم ملحمته من رؤى الشعوب الإسلامية، ولكن هذا الكتاب النقدي –لصلاح فضل– قدم هذه المقارنة بمنهج وتحليل قائم على الشرح والتفسير وإطلاق الأحكام.

ومن أبرز العوامل التي أدت بدانتي إلى أن يتأثر بالتراث الإسلامي هي الترجمة "**فقد كانت الوسيلة التي أطلع دانتي عن طريقها على الثقافة الإسلامية[2] "**

وللأندلس حينها الفضل الواسع في ترجمة الأعمال العربية والموروثات الإسلامية، ونقلها بصيغتها العربية إلى أوروبا، وقد تم في النصف الثاني من القرن 13 في عهد ألفونسو العاشر ترجمة العديد من الأعمال العربية الخالدة من التراث الشوقي الإسلامي، لتتشكل صورة عن العالم الإسلامي في أذهان الغرب، وقد كان للأندلس يد كبيرة في وصول القصص الدينية إلى أوروبا وخاصة ما تعلق بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم" **وقد ثبت من الوجهة التاريخية استقاء دانتي من المتبع الأساسي لهذه الصيغ الأدبية والصوفية، وهو تراث الإسراء والمعراج بما لا يدع مجالاً للشك"[3]**

---

[1] المرجع نفسه، ص46.

[2] صلاح فضل، تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي، ص54.

[3] المرجع نفسه، ص 71.

ورسالة الغفران لأبي العلاء المعري من أبرز الأعمال الأدبية الخالدة التي استعانت بقصة المعراج، ووظفتها بفيضٍ لغوي فني ساخرٍ، قائم على الخوارق والمعجزات. وقد لا نتوسع أكثر في التمييز بين العملين بقدر ما أننا نسعى من خلال هذه المحاضرة إلى الحرص على المنطلق والدلالة والأبعاد.

وقد أكسب كل من المعريّ ودانتيه عمليهما بصيغة أدبية قائمة على السرد، والشخصيات، والزمن اليوتوبي، والعالم الآخر الذي صنع الدهشة أكثر وزاد من إضفاء لمسة الإنسانية، لأنها تعالج قضايا البشرية، وتسعي حثيثاً لتقويم السلوك الإنساني أكثر من مجرد الترقية أو استثمار معجزات الدين الإسلامي بسطحية أو اجترار .

ومن بين الاختلافات التي يمكن استخلاصها من قراءة الناقد صلاح فضل: "**فإن عدد شخصيات دانتي أكبر بكثير من عدد شخصيات المعري، مع تنوع الشخصيات عند دانتي، لأن الطبقات التي يعتمد عليها المعري قد أصبحت عند دانتي طبقات اجتماعية... وتبدو الأرواح عند دانتي في الفردوس متجمعة في طوائف... كما نجد أن حلقات الأجناس الأدبية التي وجدناها عند المعري تقابل عند دانتي الحلقات التي تتكون من رجال الدين والفرسان والقضاة**[1]"

وهذا لا يعني أنّ الاختلاف طاغٍ، بل هناك مواضع تشابه وتقاطع كبير في حوادث خاصة، فالكوميديا نسجت تقسيمها من الرسالة، وحتى السخرية والتهكم في مضمون الرسالة أيضاً، ولقاءات ابن القارح بالحوريات والأنبياء، ورؤية أهل الجنة والنار، تضاهيها لقاءات فرجيل بالعلماء والفرسان والقضاة "**كما أن مشاهد الجنة والعذاب تثير عند**

[1] صلاح فضل، تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي، ص75.

الشاعر الإيطالي نفس المشاعر التي أثارتها من قبل عند المعري، من رقة وإعجاب وسخرية وغضب طبقاً لكل حالة من الحالات"[1] .

المطلوب :

* قم بقراءة الكوميديا الإلهة للكاتب الإيطالي ألجيري دانتي، وأبرز أوجه التشابه والاختلاف بينها وبين رسالة الغفران لأبي العلاء المعريّ؛ مع التركيز على العناصر الصوفية، والملامح السردية المشتركة بينهما.

*قدم تحليلاً مقارنياً خاصاً بك باعتماد قراءة الناقد صلاح فضل من خلال العناصر الآتية:

- النار الإسلامية في جحيم دانتي.

-تصور الأعراف.

-البناء الهندسي للجحيم .

-على باب النار .

-من مشاهد العذاب .

-إبليس وعذاب الزمهرير.[2]

ونماذج أخرى دالة على وجود تأثير فعلي للآداب العربية على الآداب الغربية، والصيغة بالجمع هنا، دليل على أن لكل أدب عربي (مصري، جزائري، تونسي...) خصوصياته

[1] المرجع نفسه، ص77.

[2] صلاح فضل، تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي، ص107.

ومؤهلاته التي ستترك تأثيرات خاصة في الأدب الغربي، وصالحة للمقارنة بينها وبين باقي الآداب، على اعتبار المدارس المقارنية غير المتعصبة للغة والثقافة ولا لأي اتجاه فكري معين.

وكنماذج أخرى عن تأثير الآداب العربية في الآداب الغربية اخترنا العودة إلى هذا الكتاب لصابر عبد الدايم الذي تحدث فيه عن نشأة الأدب المقارن، وعن ظاهرة التلاقي بين الآداب وعواملها، ثم قدم لنا نماذج عديدة عن تأثير الثقافتين العربية والإسلامية في الأدبين الألماني والروسي، وقد نستغرب هذا التأثير، لأنه وكما هو معلوم فإن القوميتين الألمانية والروسية معروفتان بالتزمت والتعصب لعرقهما ولغتهما، وثقافتهما، إلا أن هذا لم يمنع من اطلاعهما على باقي الثقافات، خاصة الثقافة الإسلامية التي وصلها صداها بفعل الحضارة الإسلامية، التي سجلت حضورها البارز في تاريخ العالم والشعوب الإفرنجية خاصة.

ونماذج أخرى قدمها الكاتب ولكن عن التأثير الغربي في الأدب العربي، وحتى أدبائنا العرب أيضاً.

وتختلف أسباب كتابة العملين لديهما، فالمعرّي سعى إلى إظهار مقدرته الأدبية وحتى اللغوية ناقدا بذلك العديد من الأدباء والعلماء، بالإضافة إلى مناهضة الضيق الفكري والتأكيد على رحمة الله بعباده، متوسّلا في ذلك رحلة خيالية بطلها الأديب الحلبي ابن القارح الذي رافقه المعري إلى الجنة.

أما دانتيه فقد فهدفه من كتابة الكوميديا هو نقد السلوك الاجتماعي، وتأكيد ضرورة نشر التسامح في القلوب قبل المجتمعات، وبأسلوب هزلي في بعض المواضع اعتمد على

سبيل المعري رحلة خيالية هو الآخر إلى العالم الآخر عبر ثلاث أقسام: الجحيم المطهر والفردوس.

تتقاطع المدونتان في أنهما لا تعتمدان المبالغات والخوارق فالبطل إنسان عادي وحتى الشخصيات الثانوية، وتتفقان في الهدف الواحد وهو تقويم السلوك وبث التسامح والإنسانية في العالم، عبر استحضار الأرواح واستنطاقها.

أما الاختلاف بوجه عام فإن كوميديا دانتيه استرسلت في الحوار وأفاضت في الموضوعات بكثير من التفصيل والتوصيف على عكس أبي العلاء المعري الذي اقتصرت رسالته على المسائل اللغوية والأدبية.مع الاختلاف في الشخصيات والمراحل والأحداث.

- **صور الآخر في الأدب العربي:**

صورة الصهيوني في الشعر الفلسطيني[1]: (أبو سلمى فدوى طوقان، سمج القاسم).

سنحاول تقديم مزاوجة بين التلخيص والقراءة للمقال الذي بين أيدينا والذي سنحاول من خلاله تقديم صورة الصهيوني في الشعر الفلسطيني، وهذه الرؤية ستكون مميزة وفريدة من نوعها، لأن هذا الآخر مستلبٌ مستوطنٌ، متعدٍ ومحتَلّ على حساب الأنا الفلسطينية المقهورة، والمسلوبة، والمضطهدة، وللأسف الشديد أقام هذا المحتل دولته في أراضي فلسطين وقد يتجه درسنا هذا اتجاهاً بعيداً، إذ لا يركز على مقابلة بين القوة والضعف، أو الجور والعدالة، أو الخير والشر، بقدر ما يسعى إلى تقديم صورة الصهيوني، التي ليست

[1] ينظر: صورة الشخصية الصهيونية في الشعر الفلسطيني، 1927-1970، عز الدين المناصرة، أعمال الملتقى الدولي حول الأدب المقارن عند العرب، ص323.

بجديدة على الفلسطيني، في متجذرة في ذهنه ومتشكلة "**عبر مراحل تاريخية طويلة، فهي صورة سلبية عموماً، نشأت في التاريخ القديم من روح العنصرية في كتاب التوراة، الذي أثر على الوجدان الشعبي، وشكل صورة محددة لليهود**"[1] فالصورة الأولى سوداء وسلبية للغاية، فالنزوع إلى فعل السيطرة والتعدي على حقوق الغير بادعاء الأحقية في ملكيته، زاد من كره الفلسطيني له، فالصراع ديني، تاريخي، وسياسي، ولكنهما ليست الصورة عينها لدى الأوروبيين مثلاً، فهم لديهم صورتهم الخاصة والمسماة بـ: "**الصورة الشيلوكية لليهودي**"، والتي تعني اللامبادئ واللاقيم، فالشيلوكي هو المستعد حتى لأكل لحوم البشر، وهذا ما أكد عليه التصوير الرمزي للكاتب وليام شكسبير في رواته تاجر البندقية، من خلال شخصية التاجر اليهودي شايلوك الذي طالب البطل بلحم قلبه دون دم بمقابل تسديد الدين وعدم سجنه.

وقد قدم الشاعر العربي تصوراً قاراً وثابتاً للصهيوني اليهودي والذي يؤكد على أن منطلقه توسعي بحت، فلا وطن له، ولا وجود فعليّ له "**فهو اليهودي الصهيوني المرتبط بأيديولوجيا أولاً ومرتبط يكيان ودولة أقيمت على فعل عنصري ولهذا نقول اليهودي التوراتي أصبح غير موجود في الواقع لأنه وافق أن يعيش على أرض الآخرين**"[2].

وكلنا نتفق على أن هذا الاستعمار من طراز آخر، ومن بين أوطاره الدنيئة الحرب الدينية، والاستلاء على الأقصى، ومن بين الشعراء الفلسطينيين الذين قدموا لنا صورة واضحة قد تكاد تكون راسخة، بالمفهوم الثقافي الكلاسيكي، على الرغم من أنه احتلال استيطاني،

---

[1] المرجع نفسه، ص326.

[2] عز الدين المناصرة: صورة الشخصية الصهيونية في الشعر الفلسطيني، أعمال الملتقى الدولي حول الأدب المقارن، ص327.

فصورة هذا الآخر "**هي رد فعل أدبي، على فعل عنصري حياتي أقوى من الإبداع وليس رد فعل أدبي على فعل أدبي صهيوني، والصورة الذهنية للشخصية الصهيونية في الشعر الفلسطيني تنبع من موروث ثقافي كلاسيكي، في حين أن الصورة العملية لهذه الشخصية تنبع من احتلال يومي**"[1]، وهذه الرواية عملية إلى حد كبير، قائمة على المنطق والموضوعية، ولا مجال للمشاعر الإنسانية، فالجزاء من جنس العمل، وما تشكلت به الصورة الصهيونية مستمد من إيمان الشعراء الفلسطينيين، أبناء البلد المحتل، بأن هذا الآخر مشرد وبلا مأوى، ويتزايد سيلان لعابه على الأراضي الفلسطينية الطاهرة، والشاعر حاله حال الشعب المقهور لا ولن يعترف بقيام دولة إسرائيل، مهما قال الزمان بذلك أو اعترف.

ومن بين الشعراء نجد الشاعرة فدوى طوقان التي نظمت أجمل القصائد التي تشع بالوطنية، والمجسدة لحقيقة الصراع الفلسطيني اليهودي، بل العربي الصهيوني إن صح القول.

تقول:

ويدوي صوت جندي هجين لطمة تهوي على وجه الزحام

عرب، فوضى، كلاب

ارجعوا، لا تقربوا الحاجز، عودوا يا كلاب[2].

---

[1] المرجع نفسه، ص328.

[2] عز الدين المناصرة: صورة الشخصية الصهيونية في الشعر الفلسطيني، أعمال الملتقى الدولي حول الأدب المقارن، ص334.

فالصورة هجينة لا وجدان ولا هوية لها، ظالمة، متغطرسة، وهي كباقي الشعراء الفلسطينيين والعرب وثقوا الصراع التاريخي والحرب اللامتناهية بين اليهود والفلسطينيين، ولم يركزوا على مسألة التشويه أو تصوير هذا الآخر رغم بشاعته وجوره، بأسلوب لا مبادئ فيه ولا أخلاق.

فحرص الشعراء على احترام الأديان، والعمل بتعاليم الإسلام في توصيف اليهودي، لدرجه التأمل بالسلام، وانتهاء الحرب والصراع بسلام على عكس أن "**الصورة العربية في الأدب الصهيوني هي صورة مزورة ومشوهة كل التشوية، ويمكن إطلاق صفة العنصرية على الأدب الصهيوني خاصة، من خلال النصوص**"[1].

والشاعر سميح القاسم فقد ناضل بشعره بشكل لافت حتى يصور للقارئ ديمومة الصراع وبشاعة حقيقته، "**فالصورة الطاغية هي للشخصية الصهيونية الواقعية العملية، النابعة من رؤية يومية وهو يناضل ضدها، في حين هناك صورة باهتة وضعيفة في شعره لليهودي الشريف بالرغم أنه يعترف بوجوده**"[2] وكأي فرد فلسطيني، كان هؤلاء الشعراء ممجدين لفكرة المقاومة، ومؤمنين بضرورة محاربة العدو ورفض مسألة الاستيطان وتهويد فلسطين أرضاً وشعباً، وإن فعل المقارنة يقودنا إلى أن هناك فرق كبير بين صورة اليهودي، وصورة العربي، إذ إن الاختلاف في رسمها داخل النصوص الأدبية راجع إلى أيديولوجيا الطرفين وأخلاق كليها، ولكن تصاعد الحرب واستفحالها، بل و استمرارها إلى يومنا هذا،

[1] المرجع نفسه، ص337.

[2] عز الدين المناصرة: صورة الشخصية الصهيونية في الشعر الفلسطيني، أعمال الملتقى الدولي حول الأدب المقارن، ص338.

قد يغير من نظرة أحدهما إلى الآخر. ولن تبقَ الصورة متوارثة أو نمطية، بل ستتجاوز ذلك إلى تعدد صوري تفرضه المستجدات، والراهن القائل بتناحر المصير أو اضطرابه المستمر.

كما كان لأدباء عرب أسلوبهم الخاص في توصيف الآخر الصهيوني، وعلى رأسهم محمد العيد آل خليفة الذي وصفه بالمتشرد الذي بلا وطن ولا هوية، فنظم أبياتاً هاجم كل حرف فيها بإيقاعه الغاضب ما يحدث في الشرق الأوسط بعامة وفي فلسطين بخاصة، هاجمهم هو وغيره من الشعراء الجزائريين الذين خلدوا أبطال معركة القسطل، كما أهاجوا العواطف أثناء حرب 1948 ورفضوا التقسيم، ونادوا بالثأر، وتوعدوا اليهود، كل ذلك في شعر ينبض بالحب لفلسطين والنقمة على أعدائها والحزن على جزء غالٍ من الوطن العربي تهدده الضياع وتقاسمته الأهواء[1].

قل لابن صهيون اغتررت فلا تجر

إن ابن يعرب ناهض للثأر

سترى أمانيك التي شيدتها

منهارة مع ركنك المنهار

أبيات متميزة في توصيفها الثائر والرافض لما يقوم به الاحتلال الصهيوني في الأراضي الفلسطينية من جور وظلم وفساد ، فخاطبه الشعر آل خليفة بهذه النبرة الحادة المتوعدة، وكل حرف فيها يهدد بانهيار جبروت العدو وتماديه اللامقبول.

[1] ينظر: سماح بن خروف: من قضايا الأدب الجزائري، دار الباحث، ط1، 2021، ص49.

• الدّرس الحادي عشر/ روافد الأدب المقارن وأهميته:

الأدب المقارن يختلف كلية عن باقي الآداب فلا يتطابق لا مع الأدب العام ولا العالمي وقد رأى البعض بأنه اجترار فقط لمهام كلا الأدبين وما الوظائف التي يقوم بها إلا فضلة أرهقت كاهل الأدب بصفة عامة إلا أن الآداب تشترك في أنها تتوسل بأكثر من **أدب قومي** حتى تحقق دراساتها والأدب المقارن يرمي إلى إدراك مدى مساهمة كل ثقافة من بين الثقافات التي يقارن بينها في إرساء قواعد الفكر العالمي.

يتوسل الأدب المقارن **بالتاريخ** ليتقاطع وتاريخ الأدب حتى يقرر التشابهات بين الوقائع والأحداث مرورا بالعديد من التقاطبات التي من شأنها أن تنمّي وتوجه مسار

المقارن دون اضطراب ابستمولوجي قد يعكر صفو مساره البحثي (قوميتان/لغتان، كاتبان/قضيتان، تماثلات/تباينات، مكانان/جنسيتان).

يرى كلود بيشوا بأن الأدب المقارن هو وصف تحليلي ومقارنة منهجية تفاضلية وتفسير مركب للظاهرة اللغوية الثقافية ومن خلال التاريخ و**النقد والفلسفة** بمعنى أن التحليل كتقنية والاستناد إلى خطوات إجرائية تستدعي توظيف العديد من العلوم المتعلقة بالوعي الإنساني تساعد على استطعام الأدب بتحليات بعيدة كل البعد عن الروتينية المنفّرة لفهم الآداب فهما أفضل من ذي قبل. وقد تقاذفت الأدب المقارن آراء عديدة شككت في علميته وفنيته فاعتبر مجرد بحث تافه لا فائدة منه فهذا هاري ليفن يعده–الأدب المقارن– وجهة نظر لا علما ومادة.

إلا أن هؤلاء ومن وجهوا انتقاداتهم الجارحة للأدب المقارن نسوا بأن فضائل هذا الأدب عديدة، وسمح للكثير من العلوم والمعارف بالولوج إلى عالمه، وهو مدعّم للكثير من النظريات بإخصاب مجالاتها العقيمة كنظرية التلقي مثلا فالتقى معها فيما يعرف بالتأثير لأنها تؤمن بتأثر القارئ بالنص.

ومن أبرز منابع الدراسات المقارنة التيارات الأوروبية المعروفة، وهذا الحضور راجع إلى تفعيل التبادلات الثقافية، وكذا الفلسفية والدينية، بل وساهمت هذه التيارات في بلورة الأفكار وترسيخ المبادئ، وتنويع المشاعر، فقد شهدت النهضة في "**مطلع القرن 16 ولادة تيارات مختلفة وذوبانها وانفصالها مثل الإنسانية والإصلاحية... حتى تصعب ملاحقة تيار واحد وتدرجه في كل أوربا**"[1].

[1] المرجع نفسه، ص112

وقد أثرت الكلاسيكية، والرومنسية في المجال المقارني بل وجهت نظرتهم العمومية إلى نظرات مقارنية خاصة فتمت بجهودهم ومساعيهم المقارنة بين الكلاسيكيتين الفرنسية والألمانية مثلاً، وكذلك الغزو الشكسبيرى على الآداب الأوروبية، وعلى الأدب العربي، كما أقام بول فان تيغم "**جدولاً غنياً قارن فيه المعادلات والمفارقات بين الأشكال الإنجليزية والألمانية والفرنسية والإيطالية لتيار أدبي أوروبي واحد**"[1]. وعلى حد تعبير الناقد فرانسوا غويار فإن "**الكل يعلم بأن التبادلات الثقافية هي أحد طموحات الإنسانية والعمل المقارن في تسجيله لتاريخ العلاقات الأدبية الدولية برهن أن أي أدب لم يمكنه الانعزال دون أن يضعف**"[2] عند قراءته ومن ثم الفهم والتفاعل.

وقد أتى الأدب المقارن حينها بما يعرف بالتلقي النقدي فلا بد من تلقي الآداب القومية بمختلف جغرافياتها، ومن ثم نقدها فهو نقد في جوهره بتبيان الاختلاف بفضل الحاسة النقدية حتى يحصل ما يعرف بالتذوق.

يعرفه محمد غنيمي هلال بقوله: "**هو دراسة الأدب القومي في علاقاته التاريخية بغيره من الآداب الخارجة عن نطاق اللغة القومية التي كتب بها**". فمنطلق البحث المقارن في نظره يجب أن يكون الأدب القومي في صلته بالآداب العالمية وامتداده بالتأثير فيها أو التأثر بها والغنى بسببها .والأدب المقارن هو في الأصل تاريخ أدبي يتتبع العلاقات وآليات التأثير والتأثر.

---

[1] المرجع نفسه، ص114.

[2] ماريوس فرانسوا غويار، الأدب المقارن، ص138.

ومن مقومات البحث المقارن التي يمكن اعتبارها منابع المقاربة وركائز لها:

- **الصّلات التاريخية:**

دراسة العلاقات بين أدب وآخر لابد أن تقوم على الصلات التاريخية بينهما، من خلال رصد نقاط التأثير والتأثر من وجهة تاريخية، وانتقال ما في أدب إلى أدب آخر لا بد أن يكون له مسار تاريخي وزمني عبر من خلاله حدوده القومية إلى قوم آخرين. فنحن نسلّم بعلاقات تاريخية لاتينية يونانية، وعلاقات عربية أوروبية مهما كان نوعها أو التصور الذي يحكمها .

- **اختلاف اللغة:**

حتى يتحقق المنهج الصحيح للمقارنة لابد ان تختلف لغا الآداب المدروسة، ولا ينبغي أن تكون مكتوبة بلغة أدبية واحدة، لأن الهدف من الأدب المقارن هو استنباط نقاط الالتقاء بين الآداب المختلفة في لغاتها وعاداتها وتفكيرها، فإن وجدت المقارنة بين آداب اللغة الواحدة فإن ذلك ليس من الأدب المقارن في شيء وإنما يدخل ضمن حيز الموازنة.

- **الترجمة:**

يقتضي هذا المقوم عنصرين أساسين هما الأدباء والكتب أو الآثار التي خلفوها أو يخلفونها، فالكتاب مهما كانت لغته التي كتب بها قد ينزل ضيفا في بيئة غير بيئته لذلك وجب معرفة مضمونه بلغته الاصلية أو مترجما في معظم الأحيان، فهنا يدخل

عنصر ثالث وهو المترجمون الذين يعدّون وسطاء بين الآداب والشعوب لأن لهم فضلا كبيرا في إيصال الثقافات والتعريف بالأقوام وعاداتهم وبيئاتهم المختلفة .

- **الترجمة والمترجمون:**

يرتبط تعلم اللغات الأجنبية بعدة عوامل وأغلبها: "**يرجع إلى عوامل سياسية واقتصادية وجغرافية وتاريخية، وتأتي اللغتان الانجليزية والفرنسية في مقدمة اللغات الأجنبية السائدة في غير موطنها**"[1] ولعل معظمنا يعلم جيداً سبب رواج اللغة الفرنسية في القرن التاسع عشر بخاصة، وفرنسا كانت مهد الحضارات والثقافات، وكان للاستعمار الفرنسي في عدة دول دوره في انتشار اللغة الفرنسية، ونشر هويته وثقافته، بل والإغداق في توفير منح وبعثات علمية تنتج بحوثاً علمية وأكاديمية باللغة الفرنسية.

أما اللغة الانجليزية، فهي لغة الراهن والعالم، ووصلت إلى ما يسمى بالسيطرة الشاملة على

جل مناحي الحياة، من علم وتقدم وسياسة وتكنلوجيا، أما باقي اللغات (الألمانية، الروسية، الإيطالية، والإسبانية) فللأسف لم تنتشر خارج موطنها، ولم يكترث هؤلاء إلى فكرة نشرها كنوع من التعصب إلى لغته وقوميته وعرقه، لذلك وجدت اللغة الانجليزية المساحة والمجال أمام هذا التعصب وجهل بعض الشعوب لجغرافيا العالم، مثل الشعب الفرنسي في أغلبه.

[1] الطاهر أحمد مكي، الأدب المقارن أصوله ومناهجه، ص286.

• الدّرس الثّــاني عشر/ الأجناس الأدبية والأدب المقارن:

مازالت مسألة الأجناس الأدبية مطروحة وهي متغيرة وغير مستقرة لمقتضيات خارجية وأخرى لها علاقة بالقواعد الفنّية المشكلة للأدب، وحين يتغير الجنس الأدبي فهو لا يفقد طابعه أو ما يميزه وإنما يتكيّف مع المتغيرات الخارجية سواء تعلقت بحياة الإنسان ورغبته في التجديد، أو ما يطمح إليه الأديب في إبداعاته، وبما أنه يقرأ لغيره من الكتاب القدامى والمعاصرين فإنه سيتأثر بما يكتبون شعرا أو نثرا، وقد يتعرف إلى أنواع أدبية جديدة لم يسبق

له أن اطّلع عليها في تراثه وثقافته كما "**يتعرض الباحث في مجال الأدب المقارن إلى الأجناس الأدبية المتشابهة بين الأدبين ومدى الصلات التي أوجدت هذا التشابه، وأي الأدبين أسبق في خلق هذه الأجناس، ثم كيف انتقلت إلى الأدب الآخر**"[1].

ونظرا لاطّلاعه على العديد من الأعمال الأدبية السّابقة أو المعاصرة له في بداية تجربته الإبداعية، باعتبارها حافزا هاما ومهما يمرّسه، ويعلّمه مبادئ الكتابة الأدبية للولوج إلى ساحتها، **فيتأثر بها** شكلا ومضمونا، ويؤثّر فيها إذا استضافها في عمله الأدبي، فقد يوسّعها أو يطوّقها وفق السّياق الجديد لنصّه الأدبي "**والأدب المقارن في نسق المدرسة الأمريكية لم يعد أدبياً محضاً، بل أضحى ذا منحى معرفي شمولي عام يعايش فيه الأدبي ذلك الفني والفكري**"[2]، وبحكم انتماء الكتّاب إلى المجال الواحد (الأدب) فإنّ التّفاعل مع الأشكال والأساليب المتباينة، والمضامين أمر مفروض، فيتم استدعاء النّصوص من مختلف الأجناس الأدبيّة، لتتداخل وتتصل اتصالا يزيد من قوتها الدّلالية والجمالية لاكتسابها سياقا جديدا يثري بدوره النّص الحاضر والغائب على حدّ سواء.

كما يقف الأدباء أمام المأثورات الشّعرية والنثرية القديمة "الملاحم الإغريقية، والمسرحيات، والأساطير، الأشعار الغنائية والملحمية" منها والحديثة " الرواية، القصة القصيرة، القصة القصيرة جدا" فيمعنون في مادتها وموضوعاتها ويستعينون بها، رغم انتمائها إلى العصور السّحيقة أو مواكبتها لعصرهم الذي يعيشون فيه، فتكون أكثر قابلية للتفاعل والتأويل، وتغدو مصدرا هاما للغرف منه شكلا ومضمونا وميدانا مهما للمقارنين الذين سيتتبعون القواعد المألوفة ومدى أمانة الكتّاب المتأثرين. تعد الأجناس الأدبية من أبرز

[1] بديع محمد جمعة: دراسات في الأدب المقارن، دار النهضة العربية، ط2، 1980، بيروت، لبنان، ص23.

[2] محمد السعيد جمال الدين، الأدب المقارن، ص72.

مجالات الدراسة في الأدب المقارن، حيث أن التركيز هنا يتم على الأجناس الأدبية القديمة، كقصص الحيوان "**وكيف أثر أدبنا العربي بدوره في هذا الجنس في الأدب الفارسي الإسلامي وقد يختار الباحث جنسا أدبيا في أدبين فقط كدراسة، الأسطورة في الأدبين العربي والفارسي، أو كدراسة القصة الرومانتيكية في الآداب الأوروبية، وتأثيرها في القصة العربية**"[1] .

وتتموضع النّصوص الأدبية داخل العمل الأدبي وتثريه من حيث اللّغة والأسلوب والمضمون ، وتتمازج التّجارب وتتلاقح الأذواق، حتى تغدو الأجناس لوحة جميلة تنسج من عذوبة الشّعر، وبديعيّة المقامة وغيرهما لذلك فإنّ تداخل الأجناس أمر بديهيّ ومتفاوت من أديب لآخر فقد جعلت" **المناهج النّقدية الحديثة من الكتابة بكل أنواعها عبارة عن نصوص وألغت في الوقت نفسه قضية نقاء دم الأجناس الأدبية المختلفة**"[2] ولن يسلم تداخل الأجناس من فكرة تداخل الخصائص الأسلوبيّة والجمالية بخاصة لكل جنس أدبي، ولعلّ ما نتج عن مسألة تداخل الأجناس الأدبية هو اقتراح بعض النّقاد أمثال " **كارتر كولويل** " الذي دمج بعض الأجناس الأدبيّة في بعضها البعض كدمج القصّة القصيرة مع الرّواية سعيا إلى ما قد نسميه بذوبان الأجناس، ولكن أساليب التّعبير عن الرّؤى والأفكار تختلف من جنس أدبي لآخر.

فيميّز القارئ/ المقارنيّ بين مختلف البنى النّفسية والفنّية، وتتحقّق استقلاليتها على الصّعيدين الأدبي، والنّقدي فتفهم المقاصد والأغراض من هذه الأجناس ببساطة، ودون أي تشعّب في الأفكار حتى ولو كان هناك تداخل لذلك فإنّ "**معرفة التّحديدات وفروق الاستخدام التي تفصل بين الأجناس الأدبية إنّما هو خطوة على الطريق نحو معرفة**

[1] محمد السعيد جمال الدين، الأدب المقارن، ص37.

[2] ينظر داود سلمان الشّويلي، الذئب والخراف المهضومة، ص21 .

قصد الشاعر أو الرّوائي أو المسرحيّ"[1] فيجد كلّ مستهوٍ لواحد من هذه الأجناس ملاذه وذائقته عبر هذه التّحديدات التي تصهر البناء اللّغوي لكلّ جنس أدبيّ، وتجعلهما في نسيج واحد رغم تعدّد الهياكل الكتابية واختلاف قواعدها وإن تأثير القصة القصيرة الإسبانية في فرنسا لا مجال للشك فيه، "**فهو لم يسهم فقط في تغيير دلالة اللفظ بل إنه يجعل القصة القصيرة رواية درامية صغيرة**"[2].

وقد تحضر مكونات جنس أدبي ضمن لون أدبي آخر مما يسهل مهمة المقارنة على الباحث الذي قد يتتبع مسار المذاهب الأدبية الكبرى مثلا في الشعر العربي المعاصر، أو الرواية أو القصة القصيرة وغيرهم " **فالنوع الأدبي هو القالب الفني الخاص يعمد المقارن من خلاله إلى مقابلة موضوع واحد يعالج في قالبين أدبيين مثل المدينة في القصة الأوروبية والشعر العربي، أو أن يقابل بين نوع أدبي من خلال أدبين أو أكثر كأن ندرس مثلا ازدهار القصة الواقعية في الأدب العربي المعاصر**"[3].

- **من الأسطورة إلى الرواية :**

إن الرواية الغربية لا تجهل الأساطير "**فالرواية مكونة من أساطير متقهقرة، لأن الرواية تجرّ في مسارها التاريخي أشلاء من الأساطير يريد الروائي بفضلها أن يعيد نظاماً قد اختفى**"[4] وحتى المقارنون الذين يبحثون في أصول الأجناس، سيجدون بأن معظمها قد تنصّل أو تبلور من الأساطير القديمة، وهذا حدث مع ليفي شتراوس الذي "**يعتقد بمقارنته لفئتين من الأساطير الهندية أنه سيكشف حتى في شكل قصص الفئة الثانية أصل**

---

[1] عبد العزيز شبيل، نظرية الأجناس الأدبية في التراث النثري، ص 64.

[2] طاهر حجار: الأدب والأنواع الأدبية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1985، ص116.

[3] مناف منصور، مدخل إلى الأدب المقارن، سعيد عقل وبول فاليري، بيروت، لبنان، 1980، ص43.

[4] طاهر حجار: الأدب والأنواع الأدبية، ص 144.

القصص الروائي وبذوره"[1]. بل هناك فئة نفسر فكرة ظهور الجنس الروائس تفسيراً فلكياً، حالها حال الأساطير التي انبثق نظامها الفكري والجمالي من المجتمع الإغريقي، أي أن أي نوع أدبي قديم كان أو حديثاً له علاقة بالإنسان وبيئته، وتم التركيز على الأسطورة من قبل الباحثين المقارنين حين تتبعوا مسار الأنواع والأجناس الأدبية، لأنها الأقدم والأقرب لأقوال وأفعال البشر، والأجدر سرداً للبطولات والمسارات التاريخية.

ومثلاً من بين التطورات التي اكتشفها النقاد وبعض المقارنين هو أن الرواية التكوينية (التربوية) جاءت "مكملة **للبيكاريسك**[2] وهذه الأخيرة ترتكز على إبراز الصراع الاجتماعي مع فئة الأقوياء.

وتقريباً كل الأنواع الروائية لم تبقَ على حالها، بل تغيرت فكراً وكتابة، كروايات الرعب، والروايات البوليسية، فلم تعد روايات نمطية أو ذات محاور تقليدية رتيبة، ولكن هناك من لا يعترف بهذا التعدد بل يرى بأن الإنسان واحد، والحضارة الغربية واحدة بدورها مثل ما ذهب إليه مالرو "Malro "، ولكن من الصعب أن يبقي أي جنس أدبى على شاكلته، لأنه استجابة لمتطلبات الأفراد، وتوصيف لمتغيرات المجتمعات، والتحالف بين القصة أو المسرح أو الرواية مع الأنظمة الثقافية السائدة بات أمراً ضرورياً قد يقلص من الفنية والجمالية ولكنه يقول الأنا الإنسانية، وعوالم الوجود والموجودات.

الباحث المقارن قد يقف حائراً أمام هذه التغيرات الكثيرة التي مست التيارات والمذاهب الفكرية قبل أن تمس الأنواع، ولكن هذه الإبداعات القومية تحكمها مبادئ وقيم وبيئات

---

[1] المرجع نفسه، ص 143.

[2] **البيكاريسك**: رواية قدرية تشاؤمية تحتوي على قصص من المغامرات، واشتقت التسمية من البيكارو بمعنى "خادم الخدام" والبيكاريسك حامل لأفكار الكاتب الذي يستعمل فردا موجودا حقيقة ليطعن في حق الأقوى الذي يرتكز عليه المجتمع.

مختلفة، ولا يمكن الجزم بخطية أي جنس أدبي، خاصة الرواية الفن الذي أثير حوله الكثير من الجدل.

• الدّرس الثّالث عشر/ جهود المقارنين العرب:

إن تطور الأدب المقارن عند العرب لم يأتِ من العدم، وإنما يفعل اطلاع العرب على المنجزات المقارنية الغربية والفرنسية على وجه التحديد، لتنطلق موجة الترجمات التي ركزت على إبراز النظرات المقارنة، وذلك بتطبيق فعل المقارنة بعد نقل العمل المراد مقارنته إلى اللغة العربية، وأدبنا العربي حافل بالروافد المتنوعة للمقارنة بمفهومها العلمي

الإجرائي، مثل الموازنات بين أبي تمام والبحتري، والطائيين وعديد الشعراء، لتنقل جهود (البستاني، روحي الخالدي، قسطاكي الحمصي) الموازنة وتصبح مقارنة بين الشعر العربي والأوروبي "**وإذا كان الخالدي لم يستخدم اصطلاح الأدب المقارن في كتابه، فإن ذلك لا يقلل من أهميته في حقل الدراسات المقارنة، فهو يصدر عن باحث يتقن غير لغة، ذو اطلاع واسع على الآداب العربية والأوروبية**" [1]

ولكن الريادة في الأدب العربي المقارن تعود إلى الناقد محمد غنيمي هلال، الذي تتلمذ على يد المقارن الفرنسي جان ماري كاري "Jean – Marie Carie فقة حسن التوتي، وأنور لوقا، وعطية عامر وغيرهم .

إلا أن غنيمي هلال قد كانت له بعض التوجهات المعارضة غير المسلمين بم أفرزته المدارس المقارنة الغربية، على الرغم من إيمانه التام بأهمية الدراسات المقارنة، ودوره البارز في ترقية الآداب القومية، والنهوض بها، بل وإيصال النتاج العربي الأدبي إلى العالمية، ولذلك ألف كتابة "**دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر، القاهرة، 1961**" بالإضافة إلى مؤلفه المعروف الأدب المقارن الصادر عن دار العودة، بيروت، لبنان، 1987، ولو نلاحظ فإن المؤلف المخصص لدور الأدب المقارن وأهميته، أسبق من الذي كان موضوعه الأدب المقارن، وهنا إقرار بقيمة هذا النوع الأدبي، ولكن هذا لا يعني أننا في غفلة عن باقي الجهود العربية في الأدب

[1] يوسف بكار، خليل الشيخ، الأدب المقارن، جامعة القدس المفتوحة، 2008، ص23.

المقارن، فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد: حسام الخطيب: الذي قسم الدرس المقارن إلى ثلاثة أقسام[1]:

-1 البدايات في التأليف والتدريس (من الثلاثينات إلى أوائل الخمسينات) .

-2من البدايات إلى التأسيس (أوائل الخمسينيات إلى نهاية التسعينيات).

-3نحو التكامل والتنوع (الثمانينات وما بعد).

في حين لا يختلف كل من سعيد علوش، وعز الدين المناصرة اختلافاً كبيراً، المغاير نوعاً ما هو ما قدمه المناصرة حيث وضع بين أيدينا "**دراسة ميدانية عن الأدب المقارن في الجامعات العربية من خلال أسئلة أجاب عليها أساتذة يعملون في حقل تدريس الأدب المقارن في عشر جامعات عربية**[2] "ولعل هذه المقاربة الميدانية كانت جد نافعة للجامعة والطلاب.

والأدب العربي منذ زمن العباسيين مفتوحا على الآداب الشرقية والعربية، يأخذ منها ويعطيها، وكان عطاؤه أكثر من أخذه، فأثر في الأدب الفارسي واليونانيّ، واستفاد من الأدب الروماني والهنديّ، كما احتك الأدب العربي بالآداب الأوروبية في القرون الوسطى، فغذّى موضوعاتها الأدبية في ميدان الشعر وقصص الفروسية، وقصص الحبّ، بل إن الأدب العربي كان وعاء لنقل الآداب الإسلامية والشرقية إلى أوروبا فنقل إليهم التراث القصصي على لسان الطير والحيوان من الأدب الهندي مثل كليلة وكدمنة، واتصل الأدب العربيّ بالأوروبي في عصر النهضة والعصر الروماني عبر إبداعات مترجمة كحي

[1] يوسف بكار، خليل الشيخ، الأدب المقارن ، ص26.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

بن يقظان وألف ليلة وليلة، لتوثق الصلة في العصر الحديث عبر تأثيرات ثقافية انجرّت عن حملة نابليون بونابارت في القرن الثامن عشر1798.

وقد تبلور الاهتمام بالدراسة المنهجية للأدب المقارن من خلال ما قام به الأساتذة المقارنون أمثال الدكتور طه ندا والدكتور إبراهيم سلامة والدكتور عبد الرزاق حميدة لكن محمد غنيمي هلال هو أول من قدم الشروط المنهجية المقارنة مكتملة، وهذا ليس بالغريب فقط سافر إلى فرنسا وتتلمذ على أيدي أحد الفرنسيين وعاد من بعثته عام 1952.

وقد تمكن غنيمي هلال من "**إقامة مدرسة نقدية مقارنة تستلهم وحيها من المنهج الفرنسي المقارن، وما يزال لمدرسته أنصار يتابعون علاقة الأدب العربي بالآداب الغربية**"[1] .

ويتميز العربي بقدرة على إجادة اللغات الأجنبية، لأن اللغة العربية كما هو معروف في علم الأصوات، تضم أغلب الأصوات التي تعرفها اللغات الأجنبية الحية، لذلك قام أدباء عرب بترجمة العديد من الأعمال والإبداعات الأدبية المعروفة في بداية الخمسينات، بل وهناك من أبدع باللغتين معاً الفرنسية والعربية مثل الشاعر المصري بشر فارس[2].

وقد تعتمد عملية تأكيد التأثير والتأثر على جهود أدباء وسطاء، بمعنى أنهم يغدون جسراً بين الحضارات "**بين الأنواع الأدبية النثرية، بقيت الرواية هي أكثر الأنواع**

[1] طلعت صبح السيد، الادب المقارن، ص22.

[2] ينظر: الطاهر أحمد مكي، الأدب المقارن، ص289.

الأدبية استئثاراً بالأدب المقارن، ونشأ عنها بعض الأنواع المتفرعة في أوروبا كالرواية التاريخية والرواية الريفية [1] وما ضمن لها هذا البقاء هو طبيعتها الكتابية السردية، وتلقيها الواسع من الذائقة الأدبية المحبة لهذا اللون من الأدب.

ونشأ الأدب المقارن عند العرب وفق ثلاث مراحل أولاها كانت بسبب الوعي النهضوي أو ما يعرف بالصدمة الحضارية، في بدايات القرن التاسع عشر حيث كان المثقف العربي يبحث عن ذاته وهويته في خضم عالم غربيّ متطوّر، فبدأت المقارنة بين ثقافة الأنا والآخر، ومحاولة نقل ثقافة هذا الآخر إلى الوسط العربي ونذكر أبرز المؤلفات التي انبرت حينها: كتاب تخليص الإبريز في تلخيص أخبار باريز لرفاعة رافع الطهطاوي، وكتاب علم الدين لعلي مبارك مع التركيز على المقارنة بين المظاهر الثقافية.

أما المرحلة الثانية فكانت ذات طابع نقدي بحت تم فيها المقارنة بين القواعد النقدية والبلاغية بين الأدبين العربي والفرنسي، وقد حاول النقاد العرب إبراز مدى تفوق البيان العربي على البيان الفرنسي، نذكر منهم: خليل ثابت، أحمد كامل، أمين حداد، نجيب حداد، يعقوب صروف وغيرهم.

أما المرحلة الثالثة والأخيرة فيمكن تسميتها بمرحلة النضوج والإنتاج المقارن رائدها روحي الخالدي صاحب كتاب تاريخ الأدب عند الإفرنج والعرب وفيكتور هيغو، ونجد محمد غنيمي هلال الذي تشهد أعماله بريادة حقيقية في مجال الدراسات المقارنة، وقد تميز بجرأته في التعامل مع الآداب الغربية حيث لم يقف منبهرا أو معجبا بها، وكان كتابه أول "**محاولة منهجية منظمة للتأليف في الأدب المقارن، ومنذ ظهوره طبع**

[1] ينظر المرجع نفسه، ص48.

الكتاب عدة طبعات وظل مصدرا أساسيا للأدب المقارن في الجامعات العربية إلى يومنا هذا"[1]. وراح هلال يبحث عن الأصول العربية فيها ليفتح الباب لنقاد عرب كثيرين أخذوا بمنهجيته كمحمد عبد السّلام كفافي، جمال الدين بن الشيخ، محمد نور الدين، وطلعت أبو قرحة وغيرهم.

ظهرت محاولات في منتصف القرن التاسع عشر في العالم العربي، يمكن عدّها من البدايات الأولى للأدب المقارن عند العرب، وكان دعاة التجديد يهدفون من وراء تفتحهم على أوربا إلى تعريف القارئ العربي بآداب الغرب التي بلغت مرحلة متقدّمة من التطور، في حين عرف الأدب العربي من المحيط إلى الخليج مرحلة طويلة من الانحطاط.

ويمكن اعتبار رواد النهضة العربية هم أصحاب البدايات الأولى للأدب المقارن في العالم العربي، فقد ركزوا على دراسة التشابه والاختلاف بين الأدب العربي والآداب الغربية الحديثة، ولم يتطرقوا إلى دراسة التأثير والتأثر، لأن فضل أدب أمة على أدب أمة أخرى لم يكن من اهتماماتهم، عكس ما ذهبت إليه المدرسة الفرنسية عند اشتراطها للصلات التاريخية بين الآداب ورغم ارتباط دراسات الرواد العرب الأوائل بالنهضة العربية رغبة منهم في الإفادة من الآداب الغربية.

إلا أن اعتمادهم على دراسة التشابهات والتوازي بين آداب الأمم وعدم تطرقهم إلى ظاهرة التأثير والتأثر يدل على أنهم قد سبقوا الاتجاه النقدي الأمريكي بأكثر من نصف قرن ومع ذلك فإن المقارنين الذين جاؤوا من بعدهم لم يتبعوا رواد النهضة العربية في

[1] ينظر: أعمال الملتقى الدولي حول الأدب المقارن عند العرب، ص58.

دراسة التشابهات ضمن الأدب المقارن، وانساقوا وراء مبادئ الاتجاه الفرنسي أو الأمريكي.

وكان رفاعة الطهطاوي وعلي مبارك وأديب إسحاق وأحمد فارس الشدياق ويعقوب صروف وغيرهم، قد قاموا بمقارنة بعض مظاهر الثقافة العربية بالثقافة الغربية ودرسوا جوانب من التشابه والاختلاف بينهما، وهذه الدراسات التي ظهرت على امتداد النصف الثاني من القرن التاسع عشر تعتبر البدايات الأولى للأدب المقارن عند العرب.

وفي أواخر القرن التاسع عشر تناول رواد النهضة الفكرية العرب الآداب الغربية بالدراسة ومقارنتها بالتراث العربي، كما اهتموا أيضا بالترجمة والاقتباس من التراث الغربي ولم يتطرق هؤلاء النهضويون العرب إلى ظاهرة التأثير والتأثر، بل كان هدفهم تعريف القراء ببلاغة الإفرنج والإفادة منها في نهضة الأدب العربي .

إن الدراسات الأدبية المقارنة التي ظهرت منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى منتصف الثلاثينيات من القرن العشرين عند العرب، كانت في مجملها دراسات تطبيقية ولم تهتم بمناقشة نظريات الغربيين في هذا الحقل المعرفي أو التعريف بمصطلح الأدب المقارن، فالهدف الرئيس منها كان الاطلاع على ثقافة الغرب والدعوة إلى الإفادة من مناهجه النقدية الحديثة من أجل التجديد في الأدب العربي.

- **الدّرس الرّابع عشر/الأدب المقارن في الجزائر:(تجربة أبو العيد دودو)**

توطئة:

أثر الأدب الغربي / الفرنسي في الأدب الجزائري:

كان للظرف التاريخي يده في حضور الثقافة الفرنسية لغة وكتابة في الثقافة الجزائرية، التي تأثرت هي الأخرى بالمجريات التاريخية، وبالاستعمار الفرنسي على وجه الخصوص، فالحركة الأدبية في الجزائر قد عرفت اضطراباً، وكابدت صعاباً في مواجهة سياسة التجهيل، وطمس الهوية التي فرضها العدو، ولكن الإصلاح متمثلاً في جمعية العلماء المسلمين كان لها بالمرصاد، وإن خضعت الدولة بشعبها ومؤسساتها لمستعمر دام لقرن وأكثر، فقد كان للأدب الجزائري كفاح من نوع خاص فقد عبر بلغة القرآن التي وقفت صامدة في وجه العدو بفضل الزوايا والكتاتيب، والحركات الدينية والإصلاحية –عبّر– عن الواقع المتردي والأليم، بأدب جزائري عربي التعبير فصيح، مباشر، يشع بالوطنية والانتماء، ويعج بالأوطار التي ترومها الحركة الإصلاحية.

ولكن في المقابل ظهرت فئة كتبت بلغة العدو، فلم تجد أمامها سواها، تعلمتها، ونشأت على حروفها، وقاموسها، وتبنتها لغة للتعبير حياتياً، والإبداع فكرياً وأدبياً، ولا ننكر دور الجمعية ولا حتى ولاة الولايات في الحرص على تعليم العربية، والكتابة بها، ولكن هذا لم يمنع من التعبير بالفرنسية، وحتى يبدع هؤلاء الكتاب، الذين كتبوا بلغة فرنسية لا بجنسية

فرنسية على حد تعبيرهم، لابد لهم أن يطلعوا على المؤلفات الأدبية الفرنسية، واعتماد الطريقة والآلية الكتابية كي يصل صوتهم بلغة سليمة، وأسلوب قويم سواءً أكان يعتمد السرد أو الحكي، أو البيان والبلاغة والمجاز إن كان شعراً.

ومعظم أعضاء الحركة الاصلاحية قد قرؤوا نصوصاً أدبية فرنسية، أو مقالات بجرائد فرنسية، "**فتلاميذ الشيخ بن العابد مثلاً، اطلعوا على نماذج من الأدب الفرنسي سبعين تلميذاً فإذا أضفنا لهذا العدد أولئك الذين درسوا في مدرستي الجزائر وتلمسان يتعدى العدد الإجمالي المائتين في ظرف سبع سنوات**"[1] ومجرد الاطلاع حافز على معرفة ثقافة الفرنسي والتأثر بآلية الكتابة الأدبية، وحتى بالحياة الاجتماعية الفرنسية، التي هي حاضرة في الجزائر تاريخاً وواقعاً.

وفي المقابل كان التأثير العكسي وارداً، حيث أن الأدباء الفرنسيين قد استعانوا بالطبيعة الجزائرية، وأسماء الأماكن في رواياتهم وأعمالهم الأدبية، مثل الكاتب ألبير كامو، إذ إن الأماكن والمناظر الطبيعية حاضرة بقوة في أدبه، كيف لا وهو الذي ترعرع فيها، وعاش بين أحضانها، لكن صورة الآخر الجزائري والعربي بوجه عام لم تكن سارة لأي قارئ عربي، ففي رواية الغريب، تم تجسيد الصراع الأوروبي العربي، "**وجعل الكاتب الأوروبي ينتصر في النهاية عندما أطلق مارسو النار على العربي، ولكن بعد فشله مع جماعته في مصارعة جماعة العرب رجلاً لرجل**"[2] فصورة الأوروبي تؤكد على وجود تأثر حقيقي وفعلي، من الكاتب الفرنسي بالثقافة الجزائرية، هذا الاحتكاك كان وليد الاحتلال الفرنسي "**فإذا**

[1] عبد المجيد حنون: أثر الأدب الفرنسي في الأدب الجزائري الحديث ذي التعبير العربي، أعمال الملتقى الدولي، ص236.

[2] المرجع نفسه، ص86.

حصلت مشاجرة فسوف تتكفل أنت يا ماسون بالثاني... وكان العربيان يتقدمان ببطء"[1]

فكامو صوَّر العربي تصوير المنهزم، فقد قدم مارسو العربي في صورة الخصم السيئ والشرير.

وأما عن تجربة الأديب أبي العيد دودو المقارنية فسيتم انتقاء كتاب "**الجزائر في مؤلفات الرّحالين الألمان** 1830-1855 ولا يتعلّق الكتاب بالدّرس المقارن وإنما يحوي مقاطع دالة على اهتمام الألمان بالجزائر ومن شأن هذا الاهتمام أن يستنطق ملامح التأثير والتأثر بين الثقافتين الجزائرية والألمانية وكما يرى دودو فإن "**الجزائريين لا ينقصهم الذكاء ولا المواهب ولا التطوّر...وقد بدأ اتصالهم بأوروبا قبل نصف قرن (يقصد القرن 19) إذ سافر إليها كثير منهم، وزاروا بعض بلدانها وحصلوا على معارف متنوعة، أدت إلى ظهور مواهبهم المختلفة بصورة أوضح**"[2] وهذا الاعتراف دليل على التثاقف الشديد بين أوروبا والجزائر ممّا أدى إلى إصرار الرحلين والدارسين على استكشاف أوجه التشابه والاختلاف بين الحضارتين أو البلدين والثقافتين.

وسنختار الفصل الثالث عشر من هذا الكتاب الذي أسماه **دودو كليمانس لامبينغ** ، الذي وضع كتابا بعنوان "ذكريات من الجزائر" نشره عام 1844 بمدينة أولدنبورغ، يصف فيه بعض المواطنين الذين كان على اتصال بهم، فهو يولي علاقته بهم اهتماما كبيرا يقول عن سكانها أنهم عرب أصلاء، وتحدّث عن معارك جيجل آنذاك ويقول أن القبائل كانت تهاجم معسكرات الجيش الفرنسي باستمرار يصرّح "لقد تعلّمنا القسوة من رجال القبائل الذين يدافعون عن وطنهم أكثر مما تعلموا هم منا الإنسانية والمدنية، ومن المؤسف أن

---

[1] الأخضر الزاوي: دراسات في الأدب المقارن، صورة مدينة الجزائر العاصمة في الرواية العربية الجزائرية بعد الاستقلال وعند ألبير كامو، دارسة فنية مقارنة، منشورات جامعة باتنة، د.ت، ص82.

[2] ينظر أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، ص10.

الحرب وأهم شيء فيها السرعة، كما قال صديقي الجزائري، تحمل الإنسان أحيانا على أن يفقد إحساسه بالآخرين"[1] .

وهذا التعلّم (تعلم القسوة) ما هو إلا مؤشر على تأثر العنصر الأوروبي الألماني بالفرد الجزائري، والانبهار بشيمه وأخلاقه وحتى طريقة تفكيره كما صرّ العديد من الزائرين المثقفين منهم وغير المثقفين.

وقد قدّم الكاتب نماذج عديدة تتضمن معاينات لمناظر وتوصيفا لعادات المجتمع الجزائري آنذاك فتعدّ بمثابة المرجع الأساس للمقارنين العرب وغير العرب حيث إنّ كثيرا من الرحالين مثلا قد اتكؤوا على أعمال معاصريهم وحتى السابقين في إبراز عقلية الفرد العربي/ الجزائري، مثلما فعل "**ديكر**" الذي عنون كتابه ب "الجزائر..والحرب الجارية هناك" حيث اعتمد على بيليسي وبوكلر موسكتو وروزيه وفاغنرز، فشدة التأثير تزيد من رواج الكتابات والثقافات، وإن كان المنطلق تاريخيا بحتا (الاحتلال الفرنسي) حين استكشاف المجتمع الجزائري وعاداته وأعرافه.

وقد قدّم أبو العيد دودو ترجمة لرحلة مورتيس فاغنر التي قام بها، في مقاطعة وهران " **ذلك أن فاغنر يتحدث فيها بمنطق عصره حين يصف من التقى بهم أو رآه أو سمع بهم ...ولمجرد أنهم يدافعون عن سيادة وطنهم...**"[2].

وهذا انطباع الرحالة فاغنر عن مقاطعة وهران ، ويواصل رحلته المكتشفة للثقافة الجزائرية وللتاريخ العريق للغرب الجزائري تحديدا وحتى يطلع على النتاجات الأدبية للكتاب

---

[1] المرجع نفسه ص195.

[2] أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، ص 125.

الجزائريين "**كان مشروع رحلتي يتمثل في أن أتجه أولا من وهران إلى معسكر العاصمة الداخلية للمقاطعة الغربية، التي كانت حتى ذلك الحين مقر الأمير عبد القادر تحت حراسة عامل من عمال الأمير**"[1] وشغفه بالتاريخ والأدب الجزائريين كان مؤشرا على علاقات التأثير والتأثر بين الثقافتين، فسنحت هي الأخرى بتبادل الرؤى، وتعميق الأواصر بين البلدين، وقد حث الرحالة الألمان على قراءة النصوص الأدبية الجزائرية وترجمتها إلى الألمانية لفهم الذهنية واستكشاف التضاريس الخلابة المميزة للبلاد .

وهذه الأحداث التي سردتها الخطابات الرحلية الألمانية عن الثقافة والأدب الجزائريين إنما جاءت على صيغ توصيفية منتظمة، متأملة في الموجودات وبلغة شاعرية تستنطق كل مكون طبيعي مميز لمقاطعات البلاد، وهؤلاء الرحالة يسيحون في الجزائر وعلى سجيتهم يتبادلون الأحاديث الممتعة مع سكان المناطق، وكان فاغنر يصل " **عن طريقهم إ معرفة كل ما يجري في البلاد، ويحدث في المقابل الشيوخ عن أوروبا وعن أعاجيب الحضارة، وعن الأحداث السياسية وعما تورده الصحف من أخبار جديدة**"[2] .

وقد وصف الرحالة الألماني عديد المناطق والحمامات استنادا إلى مشاهداته رفقة الحاج بخاري وبعض رجاله وإلى ما قرأه من أعمال الأدباء الجزائريين بخاصة الأمير عبد القادر رائد النهضة حينها فيصف جمال السلسلة الجبلية المحيطة بسهل اغريس "**وأخبرني الطالب أن هناك خمسة ينابيع أخرى من هذا النوع تنبع في الوهدة، لكن مياهها أقل غزارة وأقل حرارة أيضا**"[3] فقد انبهر بالحمامات والمناظر الطبيعية الهادئة التي تمنى أن

[1] أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، ص 126.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص 139.

[3] المرجع نفسه، ص 173.

يتوغل أكثر فأكثر في مجاهيلها ويقول بجمالها عن جمالها خادما الأدبين والثقافتين الألمانية/ الجزائري على حد سواء.

خلاصة عامة:

الأدب المقارن ذو مجال واسع استوعب بدوره الكثير من العلوم والفنون وكذا المعارف المتعلقة بوعي الإنسان، والأهداف المرجوة، جعل فتح الباب على مصراعيه لنشوب بعض الخلافات (التي تنازعتها بعض الأطراف لدحض أو نبذ أي توجه ذاتي قد تتدخل فيه البواعث القومية) أمرا يسيرا فتداخل بذلك هذا النمط الأدبي بغيره من النظريات النقدية والأدبية وكذا الآداب التي عالجت وإياه نفس القضايا وبالمنهجية والأساليب التقنية نفسها وظهر الأدب المقارن نتيجة الإيمان بفكرة نسبية الأشياء.

وهي فكرة تعتقد بأن العالم الذي نعيش فيه لا يمكن فهم الظواهر التي توجد فيه فهما سليما إلا إذا وضعت في إطار النسبية ومن الواجب هنا أن نؤكد بأن الأدب المقارن ليس هو الموازنات الأدبية فقط كما تراه المدرسة التاريخية أو الفرنسية وإنما هو جسر لتمرير الثقافات واستكشاف الرؤى المجتمعية المتباينة والأفكار المؤسسة للنصوص المشكّلة للآداب القومية.

ويمكن القول إن الأدب المقارن علم يدرس العلاقات بين الآداب القومية المختلفة في تأثيرها وتأثرها، فهو يحاول تخطي الحدود القومية ليعرف ما عند الآخرين: ما هو أصيل وما هو مأخوذ عن غيرهم. وللمقارنة منهج وقواعد لابد من اتباعها، وقد ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر لكنها كظواهر موجودة منذ القديم.

قائمة المراجع :

1- أحمد درويش، الأدب المقارن، دراسة نظرية وتطبيقية، دار النصر للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 2006.

2- بديع محمد جمعة، دراسات في الأدب المقارن، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1980.

3- الأخضر الزاوي، دراسات في الأدب المقارن، منشورات جامعة باتنة،1998.

4- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرّحالين الألمان، 1830-1855، المؤسسة الوطنية للكتاب.

5- داود سلمان الشّويلي، الذئب والخراف المهضومة، دراسات في التّناص الإبداعي، دار الشّؤون الثقافية العامة بغداد، العراق، ط1، 2001.

6- سوزان باسنيت، الأدب المقارن ، مقدمة نقدية، تر: أميرة حسن نويرة، المجلس الأعلى للثقافة، 1999.

7- عبد العزيز شبيل، نظرية الأجناس الأدبية في التراث النثري، دار محمد علي الحامي، تونس، ط1 ، 2001.

8- عبد القادر ميسوم، الأدب المقارن ومهاد النقد الثقافي في نسق المدرسة الأمريكية، قراءة في الروافد والمشكلات، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة خنشلة، العدد الأول، جانفي، 2015.

9- كلود بيشوا، الأدب المقارن، تر: أحمد عبد العزيز، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، ط3، 2001.

10- ماريوس فرانسوا غويار، الأدب المقارن، تر: هنري زغيب، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط2، 1988.

11- محمد السعيد جمال الدين ،الأدب المقارن، دراسة تطبيقية في الأدبين العربي والفارسي، ، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط3، 2003.

12- صابر عبد الدايم، الأدب المقارن بين التراث والمعاصرة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، ط2 ، 2003.

13- الطاهر أحمد مكّي، الأدب المقارن، أصوله وتطوره ومناهجه، دار المعارف، مصر، ط1، 1987.

14- بن طوير بارودي: المدرسة الإنجليزية في الأدب المقارن، مجلة الخطاب والتواصل، ع7، جوان، 2020.

15- طلعت صبح السيد، الأدب المقارن، مصر، ط1 ، 2015.

16- محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر.

17- أعمال الملتقى الدولي حول الأدب المقارن عند العرب،عنابة 14-19 ماي 1983، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر.

18- عبد العزيز شبيل، نظرية الأجناس الأدبية في التراث النثري، جدلية الحضور والغياب، دار محمّد علي الحامي، صفاقس، تونس، ط1، 2001.

18 - قيصر مصطفى، الأدب المقارن، الأشرف للكتاب العربي، الجزائر، برج البحري، دت.

19- محمد السعيد جمال الدين، الأدب المقارن، دراسات تطبيقية في الأدبين والفارسي، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط3 ، 2003.

20- هنري غيفورد، الأدب المقارن، تر: فؤاد عبد المطلب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2012.
21- عبد القادر ميسوم، الأدب المقارن ومهاد النقد الثقافي في نسق المدرسة الأمريكية، قراءة في الروافد والمشكلات، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة خنشلة، العدد الأول، جانفي، 2015.
22- هنري باجو- دانييل ، الأدب العام المقارن ، ترجمة: غسان السيد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1997.
23- طاهر حجار: الأدب والأنواع الأدبية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1985.
24- صلاح فضل، تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط3، 1986.
25- وجدان يحي محمّداه، الأدب المقارن في سورية، أطروحة دكتوراه، 2000.
26- يوسف بكار، خليل الشيخ، الأدب المقارن، جامعة القدس المفتوحة، 2008.

فهرس المحتويات:

العنوان	الصفحة
الدرس الأول: مدخل إلى الأدب المقارن	03
الدرس الثاني: المفهوم والنشأة والتطور	07
الدرس الثالث: مدارس الأدب المقارن	14
الدرس الرابع: المدرسة الفرنسية	18
الدرس الخامس: المدرستان الأمريكية والإنجليزية	22
الدرس السادس: الأدب المقارن والبعد الثقافي والاستشراق	33
الدرس السابع: التأثير والتأثر في الأدب المقارن	39
الدرس الثامن: الأدب الإسلامي المقارن	45
الدرس التاسع: أدوات البحث في الأدب المقارن	54
الدرس العاشر: تأثير الآداب العربية في الآداب الغربية	66
الدرس الحادي عشر: روافد الأدب المقارن وأهميته	77
الدرس الثاني عشر: الأجناس الأدبية والأدب المقارن	82
الدرس الثالث عشر: جهود المقارنين العرب	87
الدرس الرابع عشر: الأدب المقارن في الجزائر	92
خلاصة عامة:	98
قائمة المصادر والمراجع	99
فهرس المحتويات	102